

الذاتوية

« إعاقة التوحد لدى الأطفال »



إعداد الدكتور

عبد الرحمن سيد سليمان

كلية التربية - جامعة عين شمس

مكتبة زهراء الشرق

١١٩ في جامعة زايد - ت : ٣٥٢٩١٩٢

محاولة لفهم الذاتوية إعاقة التوحد عند الأطفال

د / عبد الرحمن سيد سليمان
كلية التربية - جامعة عين شمس

الناشر

مكتبة زهراء الشرق
١١٦ ش محمد فريد - القاهرة
ت: ٣٩٢٩١٩٢

حقوق الطبعة محفوظة

اسم الكتاب	محاولة لفهم الذاتية
اسم المؤلف	عبد الرحمن سيد سليمان
عدد الصفحات	١٢٨
رقم الإيداع	١٦٠٦٩
الترقيم الدولي	I. S. B. N. 977 - 314 - 053 - 9
سنة النشر	٢٠٠٠
رقم الطبعة	الأولى
الناشر	مكتبة زهراء الشرق
العنوان	١١٦ شارع محمد فريد
البلد	القاهرة - جمهورية مصر العربية
تليفون	٣٩٢٩١٩٢
فاكس	٣٩٣٣٩٠٩ - ٣٩٢٩١٩٢

تقديم الكتاب

إن الصورة التي كثيراً ما تُقدّم لوصف " الذاتوية " ، أو إعاقة التوحد، هي صورة طفل جميل مسجون في قفص زجاجي .. وطوال عدة عقود تمسك آباء كثيرون بهذه الصورة على أمل أن تظهر وسيلة ما تكسر هذا الحاجز الخفي . وقد أُعلن عن عدة طرق لعلاج هذه الظاهرة، إلا أنه لم يتأيد أيُّ منها بالبرهان، وبقي القفص قائماً لا يُمس . واليوم يبدو أنه قد آن الأوان لتحطيم هذه الصورة بأكملها، وعندها سيمكننا أن ننقى نظرة على حقيقة عقول المصابين بالذاتوية .

لقد بيّنت البحوث والدراسات النفسية والفسولوجية أن الأفراد الذاتويين Autistic People لا يعيشون في عوالمهم الداخلية الغنية، بل إنهم على عكس ذلك ضحايا نقص بيولوجي يجعل عقولهم شديدة الاختلاف عن عقول الأفراد العاديين، ولكن لحسن الحظ لا يقع الأفراد الذاتويون خارج مجال الإتصال الانفعالي بالآخرين والتودد إليهم .

وعلى هذا ، يمكننا أن نجعل العالم أكثر ترحيباً بالذاتويين، بالطريقة التي نحقق بها ذلك لأية إعاقة أخرى . ولكي يتم ذلك فإننا نحتاج إلى فهم ما هي الذاتوية ..؟

وهذا الكتاب ما هو إلا محاولة لفهما ..

والله ولي التوفيق ،

المؤلف

الدكتور عبد الرحمن سيد سليمان
المقطن في شهر رجب ١٤٢٠ هـ
أكتوبر ١٩٩٩ م

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	تقديم الكتاب
٤	محتويات الكتاب
٥	الفصل الأول : مدخل إلى دراسة الذاتوية
٧	- البدايات التاريخية لدراسة الذاتوية
١٢	- التطور التاريخي لدراسة الذاتوية
١٥	- أهمية دراسة الذاتوية
١٧	- نحو تعريف لمفهوم الذاتوية
٢٥	الفصل الثاني : اضطراب الذاتوية : البدايات والتشخيص
٢٧	- الذاتوية : بداية الظهور والمسار
٢٩	- الذاتوية : الصورة الكلينيكية والتشخيص
٦٧	الفصل الثالث : الذاتوية : بين التحديد والتربية
٦٩	- الذاتوية : المحددات والعوامل
٧٤	- الذاتوية وعلاقتها ببعض اضطرابات الطفولة
٧٩	- تربية الأطفال الذاتويين وتعليمهم
٨٧	الفصل الرابع : الذاتوية والأساليب العلاجية
٨٩	- مقدمة
٩١	- الذاتوية والتحليل النفسي
٩٢	- الذاتوية وتعديل السلوك
٩٥	- الذاتوية والعلاج البيئي
٩٥	- حالة تطبيقية في علاج الذاتوية
١٠٧	الفصل الخامس : الذاتوية : بحوث ودراسات
١٠٩	- مقدمة
١٠٩	- دراسات تناولت الذاتوية
١٢١	مراجع الكتاب

الفصل الأول

مدخل إلى دراسة الذاتية

"إعاقفة التوحد"

- البدايات التاريخية لدراسة الذاتية

- التطور التاريخي لدراسة الذاتية

- أهمية دراسة الذاتية

- نحو تعريف لمفهوم الذاتية

الفصل الأول:

مدخل إلى دراسة الذاتوية

" اعاقاة التوحد "

- البدايات التاريخية لدراسة الذاتوية :

يعتبر " ليو كانر"^(١) Leo Kanner أول من أشار إلى الذاتوية " اعاقاة التوحد " كاضطراب يحدث في الطفولة، وقد كان ذلك عام ١٩٤٣، حدث ذلك حين كان " كانر" يقوم بفحص مجموعات من الأطفال المتخلفين عقلياً بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية، ولفت إهتمامه وجود أنماط سلوكية غير عادية لأحد عشر طفلاً كانوا مصنّفين على أنهم متخلفين عقلياً، فقد كان سلوكهم يتميز بما أطلق عليه بعد ذلك مصطلح التوحد الطفولي المبكر Early Infantile Autism، حيث لاحظ استغراقهم المستمر في إنغلاق كامل على الذات، والتفكير المتميز بالاجترار الذي تحكمه الذات أو حاجات النفس، وتبعدهم عن الواقعية، بل وعن كل ما حولهم من ظواهر أو أحداث أو أفراد، حتى لو كانوا أبويه أو إخوته فهم دائمو الانطواء والعزلة، لا يتجاوبون مع أي مثير بيئي في المحيط الذي يعيشون فيه كما لو كانت حواسهم الخمس قد توقفت عن توصيل أي من المثيرات الخارجية إلى داخلهم التي أصبحت في حالة إنغلاق تام^(٢) Shut in وبحيث يصبح هناك استحالة لتكوين علاقة مع أي ممن حولهم كما يفعل غيرهم من الأطفال، وحتى المتخلفين عقلياً منهم . ومنذ عام ١٩٤٣ استخدمت تسميات كثيرة ومختلفة - كما سنشير إلى ذلك في محاولات تعريف هذا الإضطراب - من هذه التسميات على سبيل المثال لا الحصر فصام الطفولة المبكر Early Infantile Autism أو اجترارية الطفولة

(١) ليو كانر Leo Kanner طبيب نفسي أمريكي متخصص في الأطفال ولد في المجر (١٨٩٤) وهو مؤلف كتاب طب نفس الطفل عام ١٩٣٥ Child Psychiatry وهو أول كتاب في الموضوع باللغة الإنجليزية . ولقد اشتهر " كانر" بدراساته في الذاتوية " اعاقاة التوحد " الطفلية Infantile Autism، وهو يميز بينها وبين فصام الطفولة . وتسمى هذه الذاتوية " اعاقاة التوحد " مرض كانر، أو زملة كانر (جابر عبد الحميد وعلاء كفاقي، الجزء الرابع، ص ١٨٦٧) .

(٢) شخصية منغلقة : Shut-in Personality

فرد ينسحب وينعزل، وغير اجتماعي، وتشيع الظاهرة بين الأشخاص الذين يصبحون فصامين، إنسان يعيش بين الناس وليس معهم، ويوصف هذا النمط أيضاً بأنه شبه فصامي أو منقسم Schizoid (جابر عبد الحميد وعلاء كفاقي، ١٩٩٥، الجزء السابع، ص ٣٥٤٠)

المبكرة، Early Childhood Autism ، ذهان الطفولة Children psychosis ، النمو غير السوي (الشاذ) Atypical Development (وهو لفظ يستخدم أحيانا ليميز فصام الطفولة أو الذاتوية " اعاقاة التوحد " الطفلية المبكرة)، نمو " أنا " غير سوي Atypical Ego Development .

ويرى بعض الباحثين (انظر على سبيل المثال : يوسف القريوتي وآخرون، ١٩٩٥؛ Matz, 1982) أن هذه التسميات تعكس التطور التاريخي لمصطلح الذاتوية " اعاقاة التوحد "، واختلاف اهتمامات وتخصصات العاملين في مجال التربية الخاصة والمهتمين بهذا الإضطراب . بالإضافة إلى ذلك، فإن استخدام عدد من التسميات كان بسبب غموض وتعقد التشخيص الفارق للإجترارية .

ومن الناحية التاريخية، استخدام مصطلح الذاتوية " اعاقاة التوحد " في البداية في ميدان الطب النفسي عندما عُرّف الفصام، خاصة الفصام في مرحلة الطفولة أو فصام الطفولة^(١) Childhood Schizophrenia وفي ذلك الوقت، كان يستخدم مصطلح الذاتوية " اعاقاة التوحد " كوصف لصفة

^(١) فصام الطفولة : مصطلح غير دقيق يشير إلى مجموعة متباينة من ردود الفعل للشخصية الفصامية، بصفة عامة، التي تظهر في وقت مبكر من حياة الفرد . ومن الأعراض الأكثر شيوعاً في هذا الإضطراب : عدم القدرة على الإستجابة الانفعالية والاهتمامات بالغة الضيق، والفشل في الإرتباط بالأفراد الآخرين، والوظائف اللغوية المضطربة، وانخفاض مستوى تحمل الإحباط والتفكير الإجتراري Autistic Thinking (الذي هو عبارة عن عمليات تفكير نرجسية متمركزة حول الذات كأحلام اليقظة والاستغراق في الخيال على نحو لا علاقة له بالواقع، أو علاقته به ضئيلة . وقد تكون هذه العمليات محاولة لاشباع الرغبات التي لا يسمح بها في الواقع) . والتفكير المُتسوّه والنشاط الحركي المضطرب، وهذه الأعراض تأخذ أشكالاً عديدة مثل الوضعية الشاذة والقلق (عدم الراحة) البالغ، والرفس، والصراخ المفاجئ ورفض الطعام، أو رفض التواصل مع الآخرين، والحمق Awkwardness وفقدان الرغبة في اللعب، أو أن يظل يلعب بلعبة واحدة لمدة طويلة وضرب الرأس وأنماط النوم غير المنتظم . ويعزى هذا الإضطراب في نظر بعض العلماء والباحثين إلى إضطراب علاقة الطفل بالأم . وعند آخرين إلى الخبرات ذات الصبغة العالية جداً من التهديد والتخويف التي حدثت في وقت مبكر في حياة الطفل، كما يرى فريق ثالث أن الإضطراب يعود إلى عيب تكويني خاصة في المخ، ومن الواضح الآن أن فصام الطفولة ليس إضطراباً واحداً أو مفرداً، بل إنه مجموعة من الإضطرابات ذات الأسباب المختلفة (جابر عبد الحميد وعلاء كفاقي، ١٩٨٩، الجزء الثالث، ص ٥٨٩) .

الانسحاب لدى الفصاميين . ثم بعد ذلك أصبح يستخدم كاسم للدلالة على اضطراب الذاتوية " اعاقاة التوحد " بأكمله .

وعلى الرغم من أن " كانر " قام برصد دقيق لخصائص هذه الفئة من الأطفال وقام بتصنيفهم على أنهم فئة خاصة من حيث نوعية الإعاقاة وأعراضها التي تميزها عن غيرها من الإعاقات - في عقد الأربعينيات - فإن الاعتراف بها كفئة يطلق عليها مصطلح " الأوتيزم " أو " التوحد " أو " الإجتزاز " في اللغة العربية، لم يتم إلا في عقد الستينيات حيث كانت تشخص حالات هذه الفئة على أنها نوع من الفصام الطفولي، وذلك وفق ما ورد في الدليل الإحصائي لتشخيص الأمراض العقلية في الطبعة الثانية (DSM2)، ولم يتم الاعتراف بخطأ هذا التصنيف إلا في عام ١٩٨٠ حينما نشرت الطبعة الثالثة المعدلة (DSM3R)، والتي فرقّت بوضوح بين الفصام والذاتوية " اعاقاة التوحد "، حيث أكدت أن الذاتوية " اعاقاة التوحد " ليست مجرد حالة مبكرة من الفصام . وربما يرجع هذا الخلط إلى وجود بعض الأعراض المشتركة مثل الانطواء والانعكاف على الذات، والانعزالية، ولكن الواقع أن الاختلاف في الأعراض أكثر من التشابه بينها ... ذلك أن حالات الذاتوية " اعاقاة التوحد " تخلو تماماً من أعراض الهلوسة^(١) أو الضلالات^(٢) . كما

(١) أخايل، هلوسة Hallucination

إدراك خاطئ، ففي الأخايل تحدث الرؤية أو السمع أو التذوق أو الشم أو اللمس أو الشعور بشيء ما غير موجود حقيقة . وكل هذه الأنماط موجودة في الفصام البارانوي، وتوجد أنماط نوعية أو معينة منها في الأمراض المعدية أو في التسمم الباريتيوريتي أو الكحولي أو التسمم المعدني، والاستجابات مولدة الأخايل، وذهان الشبخوخة والصرع، واضطراب ورم المخ، ومرض بيلك، ومرض الزهري، وسوء استخدام الكوكايين، والأذنة التي يصاحبها تصلب الشرايين المخية . وتحدث الأخايل كصور بصرية أو سمعية - ويمكن أن تنتج هذه الظاهرة تجريبياً بالإثارة الكهربائية لأي من قرن آمون Hippocampus في الدماغ أو اللوزة Amygdala أو اللحاء الصدعي Temporal Cartex أو لأي منطقة أخرى في المخ (جابر عبد الحميد، وعلاء كفاي، ١٩٩١، الجزء الرابع، ص ١٤٧٦) .

(٢) الهذات، الضلالات Delusion

معتقد أو نظام من المعتقدات خاطئ أو زائف يرجع إلى مصادر لا شعورية، ويبقى على الرغم من عدم المعقولية، والشواهد التي تدل على عكسه . وقد تكون الهذات عارضة زائلة أو ناقصة جزئية، كما هي الهتر (التخريف) Delirium . وقد تكون ذات درجة عالية من التنظيم والقناعة الزائفة، كما في حالات البارانويد، ولو أن معظم الهذات تقع بين هذين الطرفين (المزيد من التفاصيل المعجمية عن الهذات، والخلط، والضلالة،

توجد فروق واضحة تتميز بها الذاتوية " اعاقة التوحد "، فهي أكثر حدوثاً في الذكور عن الإناث، وبدء ظهور الأعراض في الطفولة المبكرة، ومصاحبته لحالات الصرع أو التخلف العقلي، وهي أعراض لا نجدها بين من يعانون من الفصام، ومع أنه في حالات الفصام الذي تلعب الوراثة دوراً كبيراً فيه، غالباً ما يتكرر ظهوره في أفراد أخرى في الأسرة؛ فإنه يبدو حتى الآن - على الأقل - أن الذاتوية " اعاقة التوحد " ليست لها علاقة مؤكدة بالوراثة، حيث أنها ظهرت في أسر لم تكن قد ظهرت فيها حالات مشابهة من قبل .

لقد كان يعتقد أن فقدان التفاعل الإجتماعي Social Interaction والعزلة Isolation التي يظهرها الأطفال الذين يعانون من الذاتوية " اعاقة التوحد "، أنها دليل على العلاقة المرضية الشديدة بين الطفل وأمه، وإلى الإتجاهات السلبية من الوالدين تجاهه . ولذلك فقد استخدمت مصطلحات وتسميات للدلالة على هذا الإضطراب مثل الإضطراب الانفعالي الشديد، النقص في نمو الأنا، فصام الطفولة، وغيرها . وبناءً عليه؛ فإن والدي الأطفال الإجترايين كانوا يلامون ويوصمون سلبياً على اعتبار أنهم السبب الأول لإضطراب أبنائهم . ووصفت نتائج الدراسات في هذا الصدد أمهات هؤلاء الأطفال بأن عواطفهن جامدة، وأنهن أمهات لا يغذين أطفالهن Non-Nurturing، ووصف الآباء بأنهم متشدون وحازمون . وكننتيجة مترتبة على هذه النظرة، فإن البحوث قد توجهت لدراسة صفات وخصائص الأطفال الإجترايين وذلك من أجل ربط مثل هذه الخصائص بوجود الأوتوسية (الذاتوية " اعاقة التوحد ") .

أما في الوقت الحاضر، ونتيجة للدراسات الحديثة، والخبرات الكلينيكية، فإن الإفتراضات السابقة حول الذاتوية " اعاقة التوحد " أصبحت مشكوك فيها. فوجهة النظر القائلة بعزو الذاتوية " اعاقة التوحد " إلى خصائص الوالدين لم تعد مقبولة، ذلك أن التأكيد لم يعد على جعل الوالدين كأسباب الإضطراب وإنما أصبح التأكيد على أهمية الدور الذي تلعبه الجوانب المعرفية والإضطرابات النمائية لدى الأطفال الإجترايين أنفسهم .

وقد أجريت دراسات عديدة أهتمت بفحص الجوانب العصبية والبيولوجية والبيئية وذلك في محاولات لتحديد أسباب بعينها وراء الإصابة بالذاتوية

والهذاء الشاذ، وزملة كوتارد : يمكن الرجوع إلى جابر عبد الحميد وعلاء كفاقي، ١٩٩٠، الجزء الثالث، ٨٩٤ .

" إعاقة التوحد " . وقد أسفرت نتائج هذه الدراسات عن الإخفاق في التعرف على سبب واحد يؤدي إلى الإصابة بهذا الاضطراب، ولكن يعتقد أن خللا وظيفيا في الجهاز العصبي المركزي بسبب عدة عوامل لم تزل غير معروفة حتى الآن هي السبب في حدوث الذاتوية " إعاقة التوحد " . وعلى ذلك فإن اهتمام الباحثين الآن ينصب على وصف السلوكيات والأعراض المرتبطة بالاضطراب، لأنها السبيل المتاح الآن للتعرف على الأشخاص الذين يعانون منه، وفي ضوء ذلك أصبح ينظر إلى الذاتوية " إعاقة التوحد " على أنها اضطراب يبدو دائما في شكل زملة من الأعراض^(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه - في هذه المقدمة - أن العاملين في مجال التربية الخاصة وكذلك أسر الأطفال الإجترايين، أصبحوا الآن قلقون ومهتمون بنوع الخدمات التي يتعين تقديمها لهؤلاء الأطفال ولأسرهم . ذلك أن هناك الكثير من الإنجازات التي حققت في الولايات المتحدة وأوروبا فيما يتعلق بالقوانين والأنظمة التي تنادي بتقديم خدمات تربية لهؤلاء الأطفال، ولم يعد ينظر إلى هذه الفئة من الأطفال على أنهم غير قابلين للتعليم، أو أنهم يحتاجون فقط إلى مؤسسات داخلية .

وفي عام ١٩٧٥ عندما روجع تعريف الولايات المتحدة عن الإعاقات النمائية، فإن الذاتوية " إعاقة التوحد " ضمت إلى تلك الإعاقات . وفي عام ١٩٨٠ عندما روجع النظام الفيدرالي مرة أخرى، فإن الذاتوية " إعاقة التوحد " أخرجت من تصنيف الاضطرابات الانفعالية الشديدة . وقد حدث هذا التغيير بسبب الخلط القديم بين الأوتوسية (الذاتوية " إعاقة التوحد ") وعلاقتها بالأمراض العقلية . كما أن الدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض العقلية (D S M) الصادر عن الرابطة الأمريكية للطب النفسي (A P A) قد عرّف الذاتوية " إعاقة التوحد " على أنها اضطراب نمائي وليس انفعالي (A P A, 1987) وسوف نعرض للتعريف الذي قدمه الدليل في ختام عرضنا لتعريفات هذا الاضطراب .

(١) زملة Syndrome هي مجموعة من الأعراض والعلامات والتي تولف معا مرضاً يمكن ملاحظته وتحديدته جسدياً كان أم عقلياً . وكثيراً ما يُستخدم اللفظ مرادفاً للمرض، وقد يطلق عليها اسم آخر هو : مركب أعراض . (جابر وكفافي، ١٩٩٥، ج ٧، ٣٨٤٣) .

التطور التاريخي لدراسة الذاتوية :

كما يمكن الإشارة إلى تاريخ اضطراب الذاتوية من زاوية المراحل التي مرت بها الدراسات التي تناولته منذ أن أضاف " كانر " اللثام عن أعراضه في الأربعينيات من هذا القرن وذلك على النحو التالي :

المرحلة الأولى : يمكن أن يطلق عليها مرحلة الدراسات الوصفية الأولى، وهي تلك الدراسات التي أجريت في الفترة ما بين أواسط وأواخر الخمسينيات من هذا القرن، وكان الهدف الذي تسعى إلى الوصول إليه هو أن يتضح من خلال التقارير وصف سلوك الأطفال الذاتويين، وأثر هذا الاضطراب على السلوك بصفة عامة؛ حيث اهتمت تلك الدراسات بالأطفال ذوي " ذهان الطفولة المبكرة " حيث كانت تشخص الذاتوية على أنها إحدى ذهانات الطفولة، بالإضافة إلى الأنماط الأخرى من اضطرابات الطفولة . وقد أسفر تحليل نتائج هذه الدراسات التي اشتملت على الكثير من المعلومات إلى الكشف عن كثير من خصائص الذاتوية . غير أنه لوحظ أن عدم التجانس بين المجموعات أو أفراد المجموعات الموصوفة في هذه الدراسات سواء بالنسبة للعمر الزمني أو المستوى العقلي أو أساليب التشخيص أو تفسير الأسباب قد أدى إلى الحصول على القليل من الاستنتاجات والاستخلاصات التي يمكن أن توضع في الاعتبار عند دراسة هذا الاضطراب على المدى الطويل .

ويمكن أن نذكر بعض الأسماء التي ساهمت في هذه المرحلة الباكرة بجهودها سواء في القيام بالدراسات أو كتابة التقارير مثل " ليون ايزنبرج " Eisenber Leon (١٩٥٦)؛ " ليو كانر " Kanner, Leo (١٩٥٣)؛ " هانز اسبرجر " Asperger Hans (١٩٥٣) .

المرحلة الثانية وكانت امتداداً واستمراراً للمرحلة الأولى، وفي هذا يقرر أحد الباحثين هو " فيكتور لوتر " Victor Lotter (١٩٧٨) أن الدراسات التي أجريت في هذه المرحلة، وكانت منذ أواخر الخمسينيات إلى أواخر السبعينيات لا تزال في طور التقارير المبدئية للأثار الناجمة عن " الذاتوية "، كما أنها لا تزال تركز على التطورات المحتملة في القدرات والمهارات لدى الأطفال الذاتويين نتيجة للتدريب، ولذا يمكن وصف هذه الدراسات بأنها دراسات " قصصية " بشكل كبير ، كما أنها غير منتظمة ولا تعطى صورة واضحة يمكن الاستفادة منها بشكل عملي إلا أن هناك عبارة يجب أن تضاف - في

شان هذه المرحلة - وهي أن دراسات هذه المرحلة الثانية تعد أدق من مثيلتها في المرحلة الأولى .

ومن بين الأسماء التي شاركت في دراسات هذه المرحلة " مايكل روتر " Michael Rutter (١٩٦٠)؛ " ميكلر وآخرون " Mittler (١٩٦٦)؛ ودراسات هذه المرحلة بشكل عام يمكن أن نستخلص منها ثلاث ملاحظات أساسية ساعدت بشكل جوهري على التكهن فيما بعد بوضع معايير تشخيصية لحالات الذاتوية، وإعطاء مؤشرات لاحتمالات التطور المتوقعة للوضع العام للأطفال الذاتويين، وهذه الملاحظات الثلاث هي :

(أ) التأكيد على أهمية التطور المبكر للغة في سن الخامسة، حيث أن الاستخدام الجيد أو الواضح للغة لدى الأطفال يعد أحد المؤشرات المهمة لتحديد حالات الذاتوية (ايزنبرج، ١٩٥٦) .

(ب) النظر إلى مقدار انخفاض القدرات العقلية كأحد أهم العوامل التي يمكن أن تُستخدم كمؤشر يعتمد عليه، حيث أن الأطفال الذاتويين غير القادرين على الاستجابة لمقاييس الذكاء أو الذين كانت درجاتهم منخفضة على مقاييس الذكاء (ممن تتراوح نسب ذكائهم بين ٥٥ - ٦٠) كان معظمهم يستمرون في الاعتماد على الآخرين بشدة .

(ج) القابلية للتعلم^(١) Educability ومحاولات التدرُّب من أجل التعلم تعد هي الأخرى من المؤشرات المهمة في تشخيص حالات الذاتوية .

المرحلة الثالثة ويشار إليها في أدبيات البحث النفسي في مجال الذاتوية بأنها شهدت تياراً ثابتاً من التقارير المنتسبة والكثيرة في مجال دراسات موضوع " الذاتوية "، إلا أن أغلب هذه البحوث والدراسات قد ركزت على أكثر الأفراد الذاتويين من ذوى الأداء العالى أو ذوى المستويات العالية في القدرات العقلية وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفترة استغرقت عقد الثمانينيات وبداية التسعينيات .

ومن الأسماء التي برزت في هذه المرحلة على سبيل المثال - لا الحصر - " شينج ، ولسي " Chung & Lee (١٩٩٠)؛ " جليبرج ، سستيفن برج " Gillberg and Steffenberg (١٩٨٧)؛ " كوباياشى وآخرون " Kobayashi et al (١٩٩٢)، والمنتبج لنتائج تلك الدراسات يمكن أن يلاحظ أنها ما زالت

(١) القابلية للتعلم : Educability هي الإمكانية أو الاستعداد للتعلم الأكاديمي . كما أنها تعنى قدرة الفرد على التعلم من خلال الخبرة، وقدرته على استخدام التعلم للتوافق والتكيف مع بيئته . (المؤلف) .

وصفية وغير دقيقة إلى حد ما، وذلك لاهتمامها ببعض السلوكيات المحدودة، وبعض الإتجاهات المحدودة في جمع المعلومات مثل تقارير الآباء عن مدى كفاءة أبنائهم في القيام بأدوارهم والتي من الممكن أن تكون غير دقيقة ولا تعكس موقفهم الحقيقي، بل ويمكن أن نضيف أن أساليب تشخيص حالات الذاتوية في المراحل الباكرة لاكتشاف زملة أعراضها، لم تكن مرضية دائماً؛ في حين أن التأكيد المستمر على الأساليب الحديثة أو المستحدثة في التشخيص كان هو المطلوب دائماً .

ويمكن أن تشير في سياق هذه المرحلة - والتي يمكن القول عنها أنها لا تزال مستمرة حتى الآن - أن الدراسات خاصة في الفترات المؤخرة قد ركزت على وجه الخصوص على ما يلي :

١- أهمية تطور اللغة بالنسبة للأطفال الذاتويين، خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة (على وجه التحديد في سن ٥ أو ٦ سنوات) حيث أن تطور اللغة في هذه المرحلة العمرية يعد أحد العوامل المهمة في نمو وارتقاء بعض المهارات والقدرات لدى الأطفال في المراحل اللاحقة من العمر .

٢- أن مجرد تمتع الأطفال الذاتويين ببعض المهارات أو القدرات الإدراكية واللغوية الجيدة نسبياً لا يضمن لهم بالضرورة أن تتطور حالة هؤلاء بشكل جيد؛ بدون التدخل المتخصص من أجل التدريب في بعض مجالات معينة مثل العمليات الحسابية أو الموسيقى أو الكمبيوتر على سبيل المثال، والتي تتيح الفرصة أمام هؤلاء الأفراد لإيجاد المجال الملائم لهم في الحياة والذي يمكنهم من الاندماج مع المجتمع ويساعدهم على التوافق الاجتماعي بشكل أفضل .

٣- أن المعلومات المتضمنة في تقارير الدراسات اللاحقة أكثر تنظيماً وموضوعية من الدراسة السابقة لها، وعلى ذلك فقد توصلت هذه الدراسات اللاحقة إلى نتائج على درجة من الأهمية لم تنطرق إليها الدراسات السابقة .

٤- أن عدداً من الدراسات اللاحقة قد ركزت على الأطفال الذاتويين ذوي القدرات العقلية ذات المستوى المرتفع (نسبياً)، وبالتالي كان من المتوقع أن تكون نتائج هذه الدراسات أكثر إيجابية لو قارناها بنتائج الدراسات السابقة.

٥- أن وسائل التشخيص ومن ثم نتائج التقييم التي كانت مستخدمة في الدراسات الباكرة تختلف بعض الشيء عن تلك المستخدمة في الدراسات اللاحقة، ومن ثم فإن تقييم أي تطور في أداء عينات الدراسة سوف تختلف نتيجته النهائية وكذلك النتائج المترتبة عليه وفقاً لاختلاف الأدوات المستخدمة، وأماكن الدراسات، والخلفية الثقافية، والاجتماعية لأفراد عينة كل دراسة على حدة . (محمد علي حدة . (محمد علي كامل، ١٩٩٨ : ٣٠) .

- أهمية دراسة الذاتوية :

أما عن أهمية تناول هذا الاضطراب بالدراسة سعياً وراء الفهم، فإن أهمية دراسة الذاتوية " اعاقاة التوحد " تأتي من أنها تلقي الضوء على مرحلة طبيعية في نمو الطفل وهي الفترة التي يتركز فيها الطفل حول ذاته^(١) ، مع وجود فارق مهم هو أن أغلب الأطفال يتجاوزون هذه المرحلة، بينما الطفل المضطرب (الذاتوي) يثبت عندها^(٢) . كما أننا نستطيع أن نرى النكوص إلى

^(١) التمرکز حول الذات : Egocentrism

ويعنى عدم قدرة الطفل على فهم الأشياء من أى وجهة نظر أخرى غير وجهة نظره هو، ويكون الطفل مندهشاً لأنه لا يستطيع أن يفهم كيف يفكر الآخرون بطريقة أخرى غير الطريقة التي يفكر بها هو . هذا التمرکز حول الذات يجعل الطفل يعتقد أن لدى الآخرين نفس الأفكار والمشاعر التي لديه هو نفسه . كما أنه يعتقد أن الأشياء موجودة لتسليته هو . ولا يكون الطفل مشغولاً بنفسه فقط، بل نجده يركز في نفسه وفي خبرته كل شيء، كما ينظر من خلال ذاته في تعامله مع الآخرين، ولا يستطيع أن يمثل وجهة نظرهم أو يضع نفسه مكانهم . ويضفي الطفل على الأشياء مشاعره ورغباته الخاصة، ويتصور أن أفكاره يمكن أن تغير الأشياء، وأن أفكاره وأفعاله شيء واحد لا فرق بينهما، ونتيجة لأنه لا يرى الموقف من وجهة نظر الآخرين فهو لا يدرك كيف تؤثر أفعاله على مشاعر الآخرين . ومن هذا المنطلق إذا سألت الطفل مثلاً عن يده اليمنى وعن اليسرى فإنه سيجيبك إجابة صحيحة تماماً، ولكن إذا سألته وأنت تقف في مواجهته عن يدك أنت اليمنى أو اليسرى، فإنه سيعطيك إجابة خاطئة في المرتين لأنه لن يستطيع أن يضع نفسه مكانك أى لا يخرج عن منظوره هو الخاص (عادل عبد الله، ١٩٩١ : ٦٩ - ٧٠) .

^(٢) التثبيت : Fixation

في التحليل النفسي يدل التثبيت على تشبث طاقة الحب لدى الطفل بشخص أو موضوع أو مرحلة من مراحل النمو النفسي - الجنسي - مما يقلل فيما بعد مقدار طاقة الحب المهيئة للتوافق مع الواقع ويساعد على حدوث نكوص (رجوع - ارتداد) إلى إحدى النقط التي ثبتت عليها طاقة الحب إذا ما اعترض طريق الاشباع الحالي عقبات عجز الفرد عن تذليلها . وبهذا المعنى يكون التثبيت أساساً لتعرض الفرد فيما بعد - للإصابة بالمرض النفسي أو العقلى . ويختلف نوع المرض باختلاف المرحلة التي توقف

هذه المرحلة (مرحلة التمرکز حول الذات) يحدث في مرضى الفصام مع الفرق أن مريض الفصام قد تخطى جزئياً مرحلة الذاتوية " اعاقاة التوحد " (الأوتيسية) واستطاع تكوين بعض العلاقات مع الواقع، ثم عاد إلى النكوص إلى تلك المرحلة (مرحلة التمرکز حول الذات)، أخذاً معه بعض خصائص المراحل المتقدمة .

كما يجب أن نأخذ في الإعتبار العلاقة الدائرية بين العوامل العضوية والبيئية، فالطفل الذى يولد بميول إجترارية قد يستفز أمه لتعامله بالتسالى معاملة خاصة ومميزة عن باقى إخوته مما قد ينمى فيه ظواهر المرض .

كما تأتى أهمية دراسة الذاتوية " اعاقاة التوحد " من ناحية أخرى من الخطورة المترتبة على مضاعفات الإصابة بها . وهناك من يرى أن أشد المضاعفات هى حدوث نوبات صرعية، وأن الذين تحدث لهم النوبات الصرعية غالباً ما تقل نسبة ذكائهم عن ٥٠ (خمسين) . وأنه قد لوحظ أن ٢٥٪ أو أكثر من حالات اضطراب الذاتوية " اعاقاة التوحد " يولد لديهم تاريخ لنوبة صرعية أو أكثر . كما أن المضاعفات أيضاً حدوث الاكتئاب فى بداية المراهقة أو الحياة الراشدة كاستجابة للوعى الجزئى بالإعاقاة الناتجة عن اضطراب الذاتوية " اعاقاة التوحد " .. وفى حالة التعرض لضغوط نفسى أو اجتماعى يظهر المريض أعراضاً ككتاتونية (تصلبية)، خاصة التهيج Excitment أو أخذ وضع ثابت^(١) Posturing، أو يظهر حالة ذهانية غير نوعية مع ضلالات وهلوس، ولكنها جميعاً تزول بزوال الضغوط (محمود حمودة، ١٩٩١ : ١٠٢) .

عندها النمو النفسى - الجنسى، أى باختلاف نقط تثبيت طاقة الحب . (سيجموند فرويد ١٩٨٠) : الموجز فى التحليل النفسى، ترجمة سامى محمود على، عبد السلام القفاش، القاهرة ، دار المعارف، ص ٩٠) .

(١) الوضع الثابت ، الاستيضاع Posturing هو الحفاظ على وضع جسمى أو إتجاه شاذ غريب لفترة طويلة من الزمن ويشيع ملاحظة هذا الوضع عند المرضى نوى الأعراض الكتاتونية التصلبية (جابر عبد الحميد وعلاء كفاى، ١٩٩٣، الجزء السادس، ٢٨٩٧) .

نحو تعريف لمفهوم الذاتوية :

نظرا لقلّة الكتابات التي تناولت هذا النوع من الاضطرابات النمائية التي تحدث في مرحلة الطفولة فإن البحث عن تعريف محدد له سيكون من الصعوبة بمكان كبير . وعلى أية حال فسوف يكون من المهم أن نعرض لبعض التعريفات - سواء عربية كانت أو أجنبية - وفي خطوة تالية نسجل بعض الملاحظات على ما تم عرضه من تعريفات في حدود ما يوجد بين أيدينا منها . وذلك على النحو التالي :

يطلق أحمد عكاشة (١٩٦٩ : ٦٤٢) على الذاتوية " اعاقاة التوحد " إسم الذاتوية الطفولية Childhood Autism . ويعرفها بأنها نوع من الاضطراب الارتقائي المنتشر يدل على وجوده :

(١) نمو أو ارتقاء غير طبيعي و/أو مختل يتضح وجوده قبل عمر الثلاث سنوات .

(٢) نوع مميز من الأداء غير الطبيعي في المجالات النفسية الثلاثة الآتية :

أ - التفاعل الاجتماعي .

ب - التواصل والسلوك المحدود المتكرر .

ج - بالإضافة إلى هذه السمات التشخيصية المحددة يشيع وجود مشكلات أخرى متعددة وغير محددة مثل : الرهاب (المخاوف المرضية)، واضطرابات النوم والأكل، ونوبات هياج، والعدوان الموجه نحو الذات .

ويرى " عكاشة " أن نسبة انتشار هذا الاضطراب بين الأطفال يتراوح بين ٤ - ٥ (أربعة إلى خمسة) أطفال بين كل عشرة آلاف طفل .

ويطلق عبد المنعم الحفنى (١٩٧٨ : ٨٠ - ٨١) على الذاتوية " اعاقاة التوحد " مصطلح الانشغال بالذات ويقرر أنه مصطلح أدخله " بلولر " ليصف به إحدى السمات الأولية للقسم، والانشغال بالذات أكثر من الإنشغال بالعالم الخارجى . والانشغال بالذات - من وجهة نظره - هو حركة العملية المعرفية في اتجاه إشباع الحاجة، فيفكر الجائع في الطعام، والمسافر في الماء، ويتخيل أنه يرى نبعا عن بعد، ويستعيد العجوز أيام الصبا ويجترها، وتدور أحلام يقظته حول إنتصارات بطولية .

أما الطفل الذاتى أو الأثنائى Autistic Child فهو طفل منسحب بشكل متطرف، وقد يجلس الأطفال الذاتيون يلعبون لساعات فى أصابعهم أو بقصاصات ورق، وقد بدا عليهم الإصراف عن هذا العالم إلى عالم خاص بهم من صنع خيالاتهم .

وفى عام (١٩٧٨) اقترح كل من " رتفو وفريمان " Ritvo & Freeman تعريفاً للأشخاص الإجتزازيين وقد أخذت الجمعية الوطنية للأشخاص الاجتزازيين بهذا التعريف، وهو الآن الأكثر قبولاً لدى العاملين مع ذوى الحاجات الخاصة . ويتضمن هذا التعريف خصائص وصفات الشخص الإجتزازى بأنه الذى يجب أن توجد الأعراض التالية لديه، وذلك قبل ثلاثين شهراً من العمر :

- (١) اضطراب فى سرعة النمو أو مراحلته .
- (٢) اضطراب فى الإستجابة للمثيرات الحسية .
- (٣) اضطراب فى الكلام واللغة والسعة المعرفية .
- (٤) اضطراب فى التعلق المناسب بالأشخاص والأحداث والموضوعات .

ويصنف محمد شعلان (١٩٧٩ : ١١٦) الذاتوية " اعاققة التوحد " ضمن الإضطرابات الذهانية التى تحدث فى مرحلة الطفولة، ويقتصر فى تناوله لأذهنة الطفولة المبكرة على نوعين يطلق على الأول وهو الذاتوية " اعاققة التوحد " تسمية الذهان الذاتوى Autistic Psychosis . ويرى " شعلان " أن من الممكن تسميته أيضاً بالذاتوية الطفولية المبكرة Early Infantile Autism ولا يضع " شعلان " تعريفاً لهذا الإضطراب، وإنما يركز فقط على الأعراض، وهو ما نتناوله تفصيلاً عن الحديث عن أعراض الذاتوية " اعاققة التوحد " (الأوتيسية) فى نقطة تالية من هذا الفصل .

ويذكر " سوين (١٩٧٩ : ٧٥٣) أن المعالجين النفسيين والمشتغلين باختلالات الطفولة، ليس لديهم خطة تصنيف واحدة تبين أنها مقنعة لكل المختصين بالأمراض النفسية عند الأطفال . مثال ذلك أن مصطلحات " فصام الطفولة " و الذاتوية " اعاققة التوحد " و " الطفولية " و " الطفل غير النمطى " قد استخدمت لفترة طويلة وعلى نطاق واسع على أساس أنها متساوية فى المعنى، وبحيث يمكن أن يحل أحدها محل الآخر . وتظل التعريفات مختلطة - بناءً على تداخل التصنيف - وبالتالي - قلا غرابة فى أن يُستخدم مصطلح

" الطفل غير النمطى " (١) Atypical Child ليشمل عددا من الاختلالات من بينها فصام الطفولة، ثم ينظر إلى الطفل الإجترارى على أنه نوع من فصام الطفولة كما يفعل " كانر " ، فى حين يختلف معه باحثون آخرون (على سبيل المثال " ريملاند " 1964 ، Rimland ، وونج 1967 Wing) فيعتبران الذاتوية " اعاقاة التوحد " مختلفة عن فصام الطفولة، أو أن نجد أحد الباحثين يقترح أن نستخدم مصطلح " ذهان الطفولة " بدلا من مصطلحات الذاتوية " اعاقاة التوحد " و " الطفل غير النمطى " لنشير إلى مرض يختلف عن فصام الطفولة .. وهكذا ...

ويطلق فتحى عبد الرحيم (١٩٨٣ : ٢٨٦ - ٢٨٧) على الذاتوية " اعاقاة التوحد " Autism لفظ التمرکز الذاتى، ويعتبره - بالإضافة إلى سكينزوفرينيا الطفولة Childhood Schizophrenia من الاضطرابات السلوكية الحادة التي تصيب الأطفال فى فترات الطفولة المبكرة والمتوسطة . وذلك منذ أن ميّز " كانر " Kanner (١٩٤٣) التمرکز الذاتى Autism كنوع مستقل من اضطرابات السلوك التي تحدث فى وقت مبكر من حياة الأطفال - بخلاف سكينزوفرينيا الطفولة التي تحدث أثناء الطفولة المتوسطة - ومنذ ذلك الحين والحوار يدور بين الأطباء النفسيين حول ما إذا كان التمرکز الذاتى يعد حالة منفصلة عن ذهان الطفولة Childhood Psychosis أم لا .

ويطلق عادل الأشول (١٩٨٧ : ١١٢) على الذاتوية " اعاقاة التوحد " مصطلح الإنشغال بالذات أو الأنانية وهو يرى أنه :

(١) إضطراب إتصالى خطير، وسلوك يبدأ فى أثناء مرحلة الطفولة المبكرة، وعادة ما يبدأ قبل ٣٠ شهرا وحتى ٤٢ شهرا من عمر الطفل (ما بين سن العامين والنصف إلى نحو ثلاثة أعوام ونصف تقريبا)، ويتصف الطفل (الإجترارى) بالكلام عديم المعنى، وينسحب داخل ذاته، وليس لديه إهتمام بالأفراد الآخرين، وهو طفل سريع التأثر والتعلق بالآخرين، وقد يكون المصاب لديه أحيانا ميولا للحيوانات . وقد يطلق على الذاتوية

(١) الطفل النمطى (الطفل الشاذ) Atypical Child : طفل ينحرف إنحرافا ملحوظا عن المعيار فى بعض الخصائص الأساسية كالطفل الذى لديه تلف فى المخ، أو العاجز عن التعلم، أو المتأخر عقليا، أو المرتفع فى الذكاء، أو المضطرب انفعاليا (جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفاى، ١٩٨٨، ج ١، ٢٩٨) .

" اعاقاة التوحد " مصطلح الإنشغال الطفولي بالذات Infantile Autism
أو عرض " كانر " Kanner's Syndrome .
(٢) تمثل التخيلات مع إستبعاد الإهتمام بالواقع، وهو عرض من أعراض
الفصام .

ويطلق جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفاقي (١٩٨٨ : ٣١٥) على
مصطلح الأوتيسية Autism كلمة الذاتوية " اعاقاة التوحد " ويعنيان بها :
إنسحاب الفرد من الواقع إلى عالم خاص من الخيالات والأفكار . وفي
الحالات المتطرفة توهمات وهلوسات . وقد اعتقد ذات مرة أن الذاتوية
" اعاقاة التوحد " هي الخاصية الأولى للفصام، ولكنها تلاحظ الآن في
إضطرابات أخرى مثل ذهان الشيخوخة، وفي زملة كانر Kanner's
Syndrome (إجتزارية طفلية مبركة) . وفي بعض حالات الإكتساب .
والشخص الإجتزاري ذو شخصية مغلقة ، وهو ملتفت إلى داخله، ومنشغل
إنشغالا كاملا بحاجاته ورغباته، التي يتم إشباعها كلية أو إلى حد كبير في
الخيال .

أما إذا كنا نتحدث عن الأطفال، فإنه يقصد بالطفل الذاتوي أو الإجتزاري
Autistic Child الطفل الذي فقد الإتصال بالآخرين أو لم يحقق هذا الإتصال
قط، وهو منسحب تماما ومنشغل إنشغالا كاملا بخيالاته وأفكاره وبالأنماط
السلوكية المقولبة، كبرم الأشياء أو لفها، والهزهزة . ومن خصائصه الأخرى
لا مبالته إزاء الوالدين والآخرين . وعجزه عن تحمل التغيير، وغيوب
النطق أو الخرس . وتفسر هذه الحالة لدى البعض بأن لها أساسا عضويا،
ويفسرها آخرون باعتبارها شكلا من أشكال الفصام (المرجع السابق، ص
٣١٥ - ٣١٦) .

وفي إشارته للأعراض المصاحبة لاضطراب الذاتوية الذاتوية " اعاقاة
التوحد " لا يخرج محمود حمودة (١٩٩١ : ١٠٠) عما اتفق عليه كل ما
تناولوا هذا الاضطراب، غير أنه يقرر في بداية حديثه أن من الملاحظ أن
الطفل الاجتزاري الأصغر سنا يكون أشد إصابة وأكثر إعاقة والأعراض
المصاحبة أكثر، وإنها قد تشمل :

- ١- شذوذ في نمو المهارات المعرفية دون اعتبار لمستوى الذكاء العام، وفي معظم الحالات يوجد تشخيص مصاحب من التخلف العقلي، غالباً متوسط الدرجة (معامل ذكاء ٤٩ - ٣٥) .
- ٢- شذوذ الوضع والحركة مثل الآلية الحركية (رفرفة الذراعين، والقفز وحركات الوجه التكشيرية) والمشى على أطراف أصابع القدمين، والأوضاع الغريبة لليد والجسم، وضعف التحكم الحركي .
- ٣- الاستجابات الغريبة للإثارات الحسية مثل تجاهل بعض الإحساسات (مثل الألم أو الحرارة أو البرودة)، بينما يظهرون حساسية مفرطة لإحساسات معينة (مثل قفل الأذنين تجنباً لسماع صوت معين، وتجنب أن يلمسه أحد)، وأحياناً يظهر إنبهاراً ببعض الإحساسات (مثل التفاعل المبالغ فيه للضوء والروائح) .
- ٤- شذوذات في الأكل والشرب والنوم (مثل قصر الطعام على أنواع قليلة، أو شرب السوائل بكثرة، والاستيقاظ المتكرر ليلاً بهز الرأس وأرجحتها أو خبط الرأس) .
- ٥- شذوذات الوجدان مثل الثقل الوجداني (أى الضحك أو البكاء دون سبب واضح)، والغياب الظاهري للتفاعلات العاطفية، ونقص الخوف من مخاطر حقيقية، والخوف المفرط كاستجابة لموضوعات غير مؤذية أو أحداث، والقلق العام والتوتر .
- ٦- سلوك إيذاء النفس مثل خبط الرأس بعنف أو عض الأصابع أو اليد . وقد يصاحب هذه الأعراض - بالإضافة إلى ماسبق - اضطرابات نفسية أخرى مثل نوبات الاكتئاب العظمى في المراهقة أو الحياة البالغة .

ويطلق الشخص والدماطى (١٩٩٢: ٥٢ - ٥٣) على الذاتية " اعاقاة التوحد " عدة معان منها :

إجترار الذات، استثارة الذات، الأوتيسية، ويقصدان به اضطراب شديد في عملية التواصل والسلوك يصيب الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة (ما بين ٣٠، ٤٢ شهراً من العمر) ويؤثر في سلوكهم . حيث نجد معظم هؤلاء الأطفال (النصف تقريباً) يفتقرون إلى الكلام المفهوم ذى المعنى الواضح، كما يتصرفون بالإنطواء على أنفسهم وعدم الإهتمام بالآخرين، وتبلد المشاعر . وقد ينصرف إهتمامهم أحياناً إلى الحيوانات أو الأشياء غير الإنسانية ويلتصقون بها . ويطلق على هذه الحالة أيضاً " فصام الطفولة " Infantile Autism أو زملة كانر Kanner's Syndrome .

ويعرف " بول موسن وجون كونجر وجيروم كاجان " (١٩٩٣ : ٥٢٥) الذاتوية " اعاقاة التوحد " بأنها " اضطراب عقلي خطير يصيب صغار الأطفال ويتميز بالاستخراق في الخيال إلى حد الإبتعاد عن الإهتمام بالواقع وإلى حد العجز عن استخدام اللغة في التفاهم والتواصل الفكري " .

ويرى عثمان لبيب فراج (١٩٩٤ : ٣) أن التوحد أو الذاتوية " اعاقاة التوحد " Autism مصطلح يستخدم لوصف إعاقسة من إعاقات النمو، تتميز بقصور في الإدراك وتأخر أو توقف النمو، ونزعة إنطوائية إنسحابية تعزل الطفل الذي يعاني منها عن الوسط المحيط بحيث يعيش مغلقاً على نفسه، لا يكاد يحس بما حوله ومن يحيط به من أفراد أو أحداث أو ظواهر .

وترى " كريستين مايلز " (١٩٩٤ : ١٨٥) أن التوحد Autism حالة غير عادية، لا يقيم الطفل فيها أي علاقة مع الآخرين، ولا يتصل بهم إلا قليلاً جداً. والتوحد مصطلح يجب استخدامه بحذر، فهو لا ينطبق على الطفل الذي قد يكون سلوكه الشاذ ناجماً عن تلف في الدماغ . ولا يمكن استخدامه في الحالات التي يرفض فيها الطفل التعاون بسبب خوفه من المحيط غير المؤلف . ويمكن أن يصاب الأطفال من أي مستوى من الذكاء بـ " التوحد " مع الخيال، وقد يكونوا طبيعيين، أو أذكيا جداً ، أو متخلفين عقلياً .

ويطلق رمضان القذافي (١٩٩٤ : ١٥٩) على الذاتوية " اعاقاة التوحد " كلمة : الفصام الذوي (ذاتي التركيب)، ويرى أن الكلمة الأجنبية Autism تعود إلى أصل كلمة إغريقية تعنى أوتوس Autos وهي " الذات " أو " النفس " وأنها حالة اضطراب عقلي يصيب الأطفال . ويرى أنه على الرغم من مظهر الأطفال الطبيعي، إلا أنه يلاحظ عليهم عدم الميل إلى غيرهم من الأطفال بشكل طبيعي، بالإضافة إلى تميزهم بالاضطراب السلوكي الإجتماعي، والانتعالي والذهني . وكان الإتجاه في السابق هو إعتبار هذه الحالة من حالات فصام الشخصية لدى الأطفال، ولكن اتضح خلو الأعراض من كثير من علامات الاضطراب الفصامي المعروفة مثل الخيالات والهذات، مما جعل العلماء يرون فيها حالة خاصة قائمة بذاتها . كما تم استبعاد فكرة التخلف الذهني كذلك لتمييز المصابين ببعض المهارات العادية التي لا توجب إعتبارهم من المتخلفين ذهنياً .

وتتميز هذه الحالة بشكل خاص بعدم القدرة على الإنتماء للأخرين حسياً أو لغوياً، واضطراب الإدراك مما يؤدي إلى عدم الفهم أو القدرة على الإتصال أو التعلم أو المشاركة في النشاطات الإجتماعية .

ويطلق عمر خليل (١٩٩٤ : ٦٣) على مصطلح الذاتوية " اعاقاة التوحد " مصطلح التوحدية (الأوتيسية) ولا يضع تعريفاً له وإنما يسرد عدة تعريفات تدور كلها حول المعانى الآتية :

(أ) اضطراب واضح فى الإرتقاء الإجتماعى واللغوى مصحوب بأنماط سلوكية نمطية Stereotyped Behaviour^(١) .

(ب) زملة سلوكية تنتج عن أسباب متعددة وغالبا ما تكون مصحوبة بنسبة ذكاء منخفضة .

(ج) التأكيد على حقيقة أن التوحدية غالباً ما تتسم بشذوذ فى التفاعل الإجتماعى والإتصال .

(د) أن نسبة حدوث هذا الإضطراب ما بين ٢ إلى ٤ كل عشرة آلاف طفل .

ويطلق يوسف القريوتى وآخرون (١٩٩٥ : ٣٦٦) على مصطلح الذاتوية " اعاقاة التوحد " لفظة : " التوحد " ويرون أن هناك الكثير من التعريفات التى أقترحت لتعريف متلازمة التوحد ولكن تعريف الجمعية الوطنية للأطفال التوحديين National Society for Autistic Children (NSAC) عام ١٩٧٨ هو - من وجهة نظرهم - الأكثر قبولا بين العاملين فى مجال التربية الخاصة ويشير هذا التعريف إلى أن التوحد إضطراب أو متلازمة يعرف سلوكياً، وأن المظاهر المرضية الأساسية يجب أن تظهر قبل أن يصل عمر الطفل إلى ثلاثين شهراً، والذي يتضمن الإضطرابات التالية :

(أ) إضطراب فى سرعة أو تقايح النمو .

(ب) إضطراب فى الإستجابات الحسية للمثيرات .

(ج) إضطراب فى الكلام واللغة والمسة المعرفية .

(د) إضطراب فى التعلق أو الإنتماء للناس والأحداث والموضوعات .

(١) السلوك النمطى أو السلوك المنمط أو المقولب : هو سلوك جامد غير مرن يتم بغض النظر عن التغييرات فى السياق والنتائج التى ينبغى أن تؤدي إلى تعديلات فى كيفية تصرف الفرد . أى أنه سلوك يتبع نمطاً واحداً متكرراً (جابر عبد الحميد وعلاء كفاى، ١٩٩٥، الجزء السابع، ص ٣٧٢٦) .

ويرى اسماعيل بدر (١٩٩٧: ٧٣١) أن التوحد - كما يفضل هو تسميته بهذا الاسم - هو اضطراب إنفعالي من العلاقات الإجتماعية مع الآخرين، ينتج عن عدم القدرة على فهم التعبيرات الإنفعالية وخاصة في التعبير عنها بالوجه أو باللغة، ويؤثر ذلك في العلاقات الإجتماعية مع ظهور بعض المظاهر السلوكية النمطية .

ويتبنى عبد المنان معمور (١٩٩٧: ٤٤٠) التعريف الذي قدمته " مارिका " Marica, 1990 ، للأوتيزم - كما يفضل هو تسميته بهذا الاسم - من أنه مصطلح يشير إلى الإنغلاق على النفس، والإستغراق في التفكير، وضعف القدرة على الإنتباه وضعف القدرة على التواصل، وإقامة علاقات إجتماعية مع الآخرين، فضلا عن وجود النشاط الحركي المفرط (١) .

(١) فرط الحركة أو النشاط الحركي المفرط Hyperkinesis مصطلح يعادل فرط النشاط أو النشاط الزائد Hyperactivity عند بعض الباحثين . (انظر : جابر وكفافي، ١٩٩١، ج ٤ : ١٦٠٢) والحركة الجسمية الزائدة عند الشخص والدماطي (١٩٩٢ : ٢٢٢) هي حالة تتميز بالنشاط الحركي المفرط، وبالغفلة وقلة الانتباه، والاندفاع والتهور، ويستخدم هذا المصطلح في المجال الطبي للإشارة إلى المرضى ذوي النشاط الزائد، والذين يسهل تشتت انتباههم والتهاورهم .

الفصل الثاني

اضطراب الذاتوية : البدايات والتشخيص

- الذاتوية : بداية الظهور والمسار

- الذاتوية : الصورة الكلينيكية والتشخيص

الفصل الثاني : اضطراب الذاتوية : البدايات والتشخيص

- الذاتوية " اعاقة التوحد " : بداية الظهور والمسار :

يحدث هذا الإضطراب بنسبة تبلغ ١ : ٢٥٠٠ (واحد إلى ألفين وخمسمائة) من بين الأطفال، وقد يظهر بشكل تدريجي، كما قد يظهر بشكل فجائي بين عمر سنتين وثلاث سنوات بعد أن يكون الطفل قد نمي في سنواته الأولى نموا طبيعيا .

وبالرغم من أنه قد تمت السيطرة على بعض الأمراض والإضطرابات الأخرى، نتيجة تقدم التقنيات الطبية واستحداث الأمصال والعقاقير المضادة في وقتنا الحاضر، لدرجة حالت بين شلل الأطفال والحمى الروماتيزمية والدفتريا وبين منع الأطفال من الحركة أو الإضرار بقلوبهم أو خنقهم كما كان يحدث في الماضي، إلا أن الذاتوية " اعاقة التوحد " لم تجد العلاج الكافي الذي يوقف من غزوها لعقول أطفالنا (رمضان القذافي، ١٩٩٤ : ١٦٠) .

ويشير أحمد عكاشة (١٩٦٩ : ٦٤٢ - ٦٤٣) فيما يتعلق بالمؤشرات التشخيصية للإجترارية أنه عادة لا تكون هناك مرحلة سابقة أكيدة من الإرتقاء الطبيعي، ولكنها إن وجدت لا تتجاوز عمر الثلاث سنوات وأن هناك دائما إختلالات كيفية في التفاعل الإجتماعي المتبادل . وتأخذ هذه الإختلالات شكل التقدير غير المناسب للتلميحات الإجتماعية والعاطفية، كما يتضح ذلك في فقدان الاستجابات لمشاعر الآخرين و/أو عدم تعديل السلوك طبقاً للإطار الإجتماعي، مع استخدام ضعيف للرموز الإجتماعية، وتكامل ضعيف بين السلوكيات الإجتماعية والعاطفية والتواصلية، وخاصة فقدان التبادل الإجتماعي والعاطفي . كذلك تنتشر الإختلالات الكيفية في التواصل، وقد تأخذ هذه الإختلالات شكل عدم الاستخدام الإجتماعي لأي مهارات لغوية قد تكون موجودة، وخلل في ألعاب تصديق الخيال والتقليد الإجتماعي، وضعف المرونة في التعبير اللغوي، وفقدان نسبي للقدرة على الإبتكار والخيال في عمليات التفكير، وفقدان الاستجابة العاطفية لمبادرات الآخرين اللفظية وغير اللفظية، واستخدام خاطئ للأشكال المختلفة من الإيقاع والتأكيد في إيقاع التواصل، وكذلك عدم استخدام للإشارات المصاحبة التي تساعد في تأكيد أو توضيح التواصل الكلامي .

كذلك تتميز الحالة بأنماط محدودة ومتكررة ونمطية في السلوك والإهتمامات والنشاطات، وقد تأخذ شكل الميل نحو فرض قدر من التصلب والروتين على نطاق واسع من أوجه الأداء اليومي، وينطبق هذا عادة على النشاطات الجديدة، كما ينطبق على العادات المألوفة وأنماط اللعب . وفي الطفولة المبكرة على وجه الخصوص قد يكون هناك ارتباط معين بأشياء غير عادية، وإن كانت تتميز بافتقادها للمرونة، وقد يصر الأطفال الذوتويين على أداء بعض الأعمال الروتينية من خلال طقوس خاصة لا تؤدي وظيفة بعينها، وهذه قد تكون إنشغالات نمطية ببعض الإهتمامات مثل التواريز أو الطرق أو الجداول الزمنية، وكثيراً ما تكون هناك أنماط حركية، أو إهتمام خاص بعناصر وظيفية في الأشياء (مثل رانحتها أو ملمسها)، كما قد توجد مقاومة لأي تغيرات في روتين أو تفصيلات البيئة الشخصية (مثل تحريك التحف والأثاث من مكانها في بيئة الأسرة) .

وبالإضافة إلى ذلك؛ فإن الأطفال الذوتويين كثيراً ما يظهرون نطاقاً من المشكلات الأخرى غير المعينة مثل الفزع والخوف، واضطرابات النوم والأكل، ونوبات المزاج العصبي، والعدوان وإيذاء النفس (مثل عض الرسغ)، خاصة إذا كان هناك حالة من التخلف العقلي الشديد .

كما أن أغلب الأطفال المصابين بالذاتوية يفتقدون إلى التلقائية والمبادرة والقدرة على الإبتكار في شغل أوقات فراغهم، ويجدون صعوبة في تطبيق المفاهيم النظرية، وفي اتخاذ القرار في العمل (حتى إذا كانت المهام تقع في إطار امكاناتهم) .

كما أن المظاهر المحددة للعيوب التي تتميز الذاتوية تتبدل عندما ينمو الأطفال، ولكن العيوب نفسها تستمر حتى أثناء الحياة الراشدة على شكل نمط شبيه في المشكلات الخاصة بالتوافق الاجتماعي، والتواصل، وأنماط الإهتمامات، ويجب أن تكون العيوب الإرتقائية موجودة في الثلاث سنوات الأولى من الحياة لكي نستطيع أن نستخدم التشخيص . كما أن زملة الأعراض الذاتوية يمكن أن تحدث في كل المجموعات العمرية . وقد تصاحب الذاتوية كل مستويات نسبة الذكاء، ولكن في ثلاثة أرباع الحالات توجد درجة دالة من التخلف العقلي .

ـ الذاتية " اعاقاة التوحد " : الصورة الكلاسيكية والتشخيص :

لا يزال تشخيص الذاتية " اعاقاة التوحد " من أكبر المشكلات التي تواجه الباحثين والعاملين في مجال مشكلات الطفولة . وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن خصائص أو صفات الإضطراب غالباً ما تتشابه وتتداخل مع إضطرابات أخرى ولذلك يتعين الحصول على معلومات دقيقة، حتى يتم تشخيص الأعراض بدقة، وبالتالي تمييز الأشخاص الإجترايين عن غيرهم من الأفراد المصابين باضطرابات أخرى .

ويتفق محمود حمودة (١٩٩١ : ١٠١) مع العديد من الباحثين (على سبيل المثال : القذافي، ١٩٩٤؛ الشخص والدماطي، ١٩٩٢؛ الأشمول، ١٩٨٧) في أن اضطراب الذاتية " اعاقاة التوحد " يبدأ قبل الثالثة من العمر في الغالبية العظمى من الحالات، وقليلاً ما يبدأ بعد ذلك في الخامسة أو السادسة من العمر، وغالباً ما يصعب تحديد السن الذي بدأ عنده الاضطراب، ما لم يكن هؤلاء الذين يعنون بالطفل قادرين على إعطاء معلومات دقيقة عن نمو اللغة والتفاعل الإجتماعي، فالظاهر في مرحلة الرضاعة (العامين الأولين من العمر) أنه يصعب رصد مظاهر الاضطراب فيها؛ ففي الشهور الأولى قد تأخذ الأعراض صورة الهدوء المبالغ فيه، فتبدو على الطفل الطمأنينة عندما يترك وحده، ولا يخاف من الغرباء، ولا يرتبط بهم أو يتفاعل معهم، مع غياب الإبتسامة الاجتماعية التي تبدأ عادة في سن شهرين، وغياب ابتسامة التعرف التي تظهر عادة في سن أربعة شهور؛ فتشكو الأم من أن الطفل لا يعرفها، ولا يقبل عليها عندما تلتقطه من فراشه، أي لا يأتي حركات توقعية Anticipatory Movement التي يأتيها الطفل العادي السوي في سن أربعة شهور تقريباً، وقد لا يلاحظ الآباء الاضطراب لدى الطفل إلا عندما يوجد مع أطفال آخرين (مثل دخول المدرسة)، وقد يعتبرون هذه هي البداية، إلا أن التاريخ التطوري المفصل والدقيق سوف يكشف غالباً بداية مبكرة عن ذلك . وقد يرجع الوالدان التغيير إلى حدث معين، مثل ولادة طفل أصغر، أو إصابته بمرض شديد أو حادثاً أو صدمة عاطفية .

وتظل مظاهر الإضطراب في أغلب الحالات طيلة حياة الشخص، وبعض الأطفال يتحسن تواصلهم وتفاعلهم الاجتماعي ومهارتهم اللغوية عند سن الخامسة إلى سن السادسة، ويمكن أن يحدث البلوغ تغيراً في أي من الاتجاهين : التحسن والتدهور، وقد يتفقم العدوان والعناد، أو أي سلوك

مضطرب آخر، ويظل لعدة سنوات . ونسبة قليلة من هؤلاء الأطفال تصبح قادرة فعلا على توجيه حياتها بشكل مستقل بأقل قدر من علامات الإضطراب، ولكن الاختلال الاجتماعي والحمق قد يظل لدى النسبة العظمى الذين يظلون معاقين . وهناك عوامل تنبئ بمصير اضطراب الذاتوية " اعاقاة التوحد " على المدى الطويل هي معامل الذكاء ونمو المهارات الاجتماعية واللغوية .

ويرجع عثمان لبيب فرّاج (١٩٩٤ : ٢ - ٣) صعوبة تشخيص اضطراب الذاتوية " اعاقاة التوحد " إلى ثلاث عوامل :
أولها : أن تقصى أعراض التوحد - كما يطلق هو عليه - تشترك أو تتشابه مع أعراض إعاقات أخرى مثل التخلف العقلي، ومع الإعاقات الإنفعالية (العاطفية)، بل ومع حالات الفصام Schizophrenia ، ودرجة أن كثير من علماء النفس يعتبرونها حالة فصام مبكرة يبدأ ظهورها في مرحلة الطفولة .

والعامل الثاني هو أن البحوث التي تجرى على الإجتراية بحوث حديثة نسبيا ذلك أن معرفتنا بها بدأت بدرجة محدودة في الخمسينيات، وبدرجة أكثر تحديدا في السبعينات .

وأما **العامل الثالث** المسؤول عن صعوبات التشخيص والتأهيل، فهو التخلف الشديد، أو ربما التوقف الملحوظ لنمو قدرات الإتصال بين الطفل الذي يعاني الذاتوية " اعاقاة التوحد " والبيئة المحيطة كما أن عائقا أوقف الجهاز العصبي عن العمل، وبالتالي ما يترتب على ذلك من توقف القدرة على تعلم اللغة أو النمو المعرفي، ونمو القدرات العقلية، وفاعلية عملية التنشئة الاجتماعية .

ومن الطبيعي أن يترتب على كل هذا القصور في نمو قدرات الطفل وتعذر التفاعل والإتصال بين الطفل والبيئة المحيطة تعذر أو ربما - في الحالات الشديدة - استحالة نجاح برامج التأهيل الاجتماعي . وربما يضاف إلى هذه الصعوبات تعدد الأعراض التي تتبلور بدءا من الطفولة المبكرة، قتيلا في الظهور ربما في الشهور أو في الأسابيع الأولى من حياة الطفل وتزداد هذه الأعراض عددا وتنوعا سواء بالنسبة للنمو الإدراكي السمعي أو

البصرى، والنمو اللغوى والحركى والمعرفى بل وبالنسبة للسلوك والتفاعل مع المجتمع وغير ذلك من قدرات ووظائف جسمية وعقلية .

وتحت مسمى اجترارية الرضّع ، يصف " سوين " (١٩٧٩ : ٧٥٤ - ٧٥٥) الأطفال المصابين بها بأنهم يكونون على درجة غير عادية من حسن الصحة والجادبية، وانهم ينحدرون عن آباء أذكىاء، وعلى درجة عالية من التعلم . فإذا وصل الرضيع إلى الشهر الرابع تراه قد يظهر التبلد، وعدم الاكتراث بالناس، كما قد نجده من بعد ذلك يجلس وحيدا، وقد بدا على عينيه الإشتغال ببعض الأمور . ثم أن هناك أعراض أخرى من بينها التآرجح أو ضرب الحائط بالرأس، والإصرار على أن تظل البيئة بدون تغير، أو النمو غير المتماثل بحيث تنمو بعض المهارات إلى حد أكبر من الآخر . والطفل الإجتراى يبدى الإشتغال أو الإنشغال الشديد بالأشياء الميكانيكية، ويستجيب بعنف إن قوطع أو أزعه أحد، وكثيراً من الآباء يتوهمون الصمم فى أمثال هؤلاء الأطفال بسبب قلة الإستجابة لديهم . والهلاوس لا وجود لها . كما أن الأطفال الإجترايين إما أن تعوزهم الكلمات " أنا " أو " نعم " ، وإما أن يستخدموها فى كلامهم ولكن بدرجة قليلة جداً .

وفيما يتعلق بقضية التشخيص فى الذاتوية " اعاقاة التوحد " يرى القريوتى وآخرون (١٩٩٥ : ٣٦٧) أن أية محاولة للتعرف وتشخيص الأفراد أو الأطفال الذين يعانون من الذاتوية " اعاقاة التوحد " ، لابد أن ينطلق من جهود " كانر " - باعتباره أول من أشار إليها . ففى مقالته الأساسية عن الذاتوية " اعاقاة التوحد " " الأوتوسية " (١٩٣٥)، أشار إلى خصائص (١١) طفلاً كانوا يعانون من زملة أعراض غير معروفة، وقد توصل " كانر " إلى هذه النتائج من خلال الملاحظة الدقيقة والمنظمة . ولقد كان الهدف من تلك الدراسة هو التعرف على الخصائص السلوكية للمفحوصين، ولتمييز بينها وبين الصفات التى يظهرها الأطفال المرضى بأمراض نفسية أخرى . وهذه الصفات تشمل : عدم القدرة على التعلق والانتماء Relate إلى الذات والآخرين، والمواقف، وذلك منذ الولادة، تأخر فى اكتساب الكلام، عدم استخدام الكلام من أجل التواصل، إعادة الكلام، رغبة شديدة فى المحافظة على الروتين، عكس صفة الملكية ، سلوك لعب نمطى، ضعف فى التخيل، ذاكرة جيدة ، ومظهر جسمانى طبيعى، وكانت معظم هذه الصفات قد ذكرت فى دراسات لاحقة عن الأطفال الذين يعانون من الذاتوية " اعاقاة التوحد " .

ولقد أشار كل من " ريتكو وفريمان " (Ritvo & Freeman, 1987) إلى أن حوالي ٦٠ ٪ من الأشخاص الإجترايين أداؤهم أقل من ٥٠ على اختبارات الذكاء . ومع أن " كاتر " قد أعطى وصفاً كلينيكياً غنياً للأشخاص الاجتريين إلا أن كل من " ريتكو وفريمان " أشارا إلى أن " كاتر " لم يكن يحاول أن يطور نظاماً موضوعياً للتشخيص .

ومع بداية الستينيات، وتحديداً عام (١٩٦١)، قدّم " كريك وآخرون " Creak, M. et al تقريراً عن زملة أعراض الشيزوفرينيا لدى الأطفال Schizophrenic Syndrome in children ، وقد تضمن هذا التقرير قائمة من تسع نقاط — عرفت فيما بعد باسم نقاط كريك التسع Creak's Nine Points وذلك لكي تستخدم في تشخيص الأطفال الفصامين — ومن ثم الاجتريين؛ ويمكن الإشارة إلى هذه النقاط على النحو التالي (Gulliford, R. 1973) :-

١- القصور الشديد في العلاقات الإجتماعية :

Severely impaired relationships

فهؤلاء الأطفال عادة ما يكونون بمعزل عن الآخرين، فهم متحفظون Aloof ، يقيمون إتصالات قليلة، وعلاقات فقيرة مع كل من الراشدين والأطفال . وهذا الإنعزال، وهذا التحفظ يختلف في نوعيته عن السلوك الذي يبديه الأطفال الإنسحابيين . ذلك أن الأطفال الإجتريين يهيمون على وجوههم في أرجاء الحجرة التي يوجدون بها، غير مهتمين ولا عابئين بما يفعله الآخرون، ولا يستجيبون للذي يحاول أن يقدم لهم شيئاً، ولا يابيهون له كما أنهم يظهرون نوعاً من اللادراك للآخرين الموجودين معهم، سواء كانوا أشخاصاً أم أشياء، وبعضهم يستخدم الأشخاص أو أجزاء من أجسام هؤلاء الأشخاص بشكل مجرد (كأنه موضوع لا شخص)، مثل اعتلاء يد المعلم للحصول على شيء ما .

٢- فقدان الإحساس بالهوية الشخصية :

Lack of a sense of personal identity

فبعض الأطفال الإجتريين يميلون إلى اكتشاف أجسامهم بصرياً، أو عن طريق اتخاذ أوضاع خاصة في الوقوف أو الجلوس، وكان أجسامهم أشياء غير مألوفة لديهم .

٣- الإشغال المرضي بموضوعات معينة :

Pathological Preoccupation with particular objects

ويقصد بالانخراط أو الإشغال الكامل بشكل مرضي بموضوعات وأشياء معينة، أن الطفل الاجتراري قد ينهمك تماماً بقطعة من رباط الحذاء، أو قطعة حجر صغيرة، وربما يستمر هذا الانهماك لفترات طويلة من الوقت .

٤- مقاومة التغيير في البيئة :

Resistance to change in the environment

بل ويكافح الطفل الاجتراري في سبيل الاحتفاظ والإبقاء على الرتابة في إجراء الأشياء، فعلى سبيل المثال، يمكن أن يصدر عن الطفل الاجتراري، رد فعل غاضب مبالغ فيه، أو غيظ وغضب شديد تجاه شخص جديد، شئ جديد، أو إعادة لبعض الترتيبات أو إحداث تغيير في الروتين أو البيئة المحيطة به .

٥- خبرات إدراكية غير سوية : Abnormal Perceptual experience

من قبيل تجاهل الأصوات، رفض النظر إلى الأشياء، أو الناس، اختفاء الإحساس بالألم، وغياب الإحساس بدرجات الحرارة .

وكما أن بعض الأطفال الاجتراريين في نفس الوقت، يستمرون في مواصلة اكتشاف الأشياء، عن طريق وضعها في الفم، أو تقريب بعض الأشياء إلى الأنف، أو تقريبها إلى العين، فإن بعضهم الآخر قد يثبت بصره على الأضواء أو الأشياء المتحركة أمامه .

٦- الشعور بنوبات قلق حاد، مفرط، يبدو غير منطقي :

Acute excessive and seemingly illogical anxiety

فربما تتسبب بعض الأشياء العادية والمألوفة تماماً (مثل تغيير روتين الحياة اليومي) في إحداث هذا القلق الحاد، في حين أن الطفل الاجتراري من ناحية أخرى، قد لا يخاف مطلقاً من أخطار حقيقية، (مثل المرور في الشوارع، الأماكن المرتفعة) .

٧- التأخر في الكلام واللغة : Speech and language retardation

فبعض الأطفال الاجتراريين قد لا يتعلمون الكلام أبداً، والغالبية العظمى منهم يتأخرون في الكلام، كما أن هناك كثير من الملامح غير السوية عند بدء

حديثهم وكذلك فى لغتهم . من قبيل ذلك الميل إلى ترويد ما قد يسمونه توا وفى نفس اللحظة وكأنهم صدى لما يقال (ما يعرف بظاهرة المصاداة Echolalia)، والحديث " التليغرافى " (١) Telegraphic الذى يتم فيه حذف بعض الكلمات الصغيرة، واستخدام الضمائر بصورة مشوشة، والكلمات المتشابهة، أو الخلط فى ترتيب الكلمات، والصعوبة فى فهم أى شئ سوى بعض التعليمات اللفظية البسيطة، وذلك لكون هذه التعليمات حرفية Literal ، ومحسوسة عيانية عند استخدام الطفل الاجترارى لها، لأنه لا يفهم إلا الحديث العياني المباشر .

٨- الحركات الشاذة (غير العادية) : Unusual movements

فالأطفال الاجتراريون حركاتهم زائدة (مفرطة)، ويتسمون بالتجول فى أرجاء المكان الذى يوجدون فيه، كما يتميزون بالسلبية المتطرفة، والتكأف والتأق الغريب والشاذ فى الكلام والسلوك مثل الهززة، والدوران حول أنفسهم، أو حول الأشياء، والتصفيق باليدين .

٩- وهناك بصفة عامة وأخيراً، انخفاض فى مستوى التوظيف العقلى Mental Functioning ، حيث يظهر الطفل الاجترارى بعض الصور من الأداء السوى أو القريب من السوى، وذلك فى سياق ترتيب Jigsaws ، أشياء معينة فى صورة دقيقة أو فى تذكر بعض الأنواع المعينة من أحداث الواقع أو فى تذكر بعض المقطوعات الموسيقية .

ومما تجدر الإشارة إليه ونحن بصدد الحديث عن أعراض الأطفال الاجتراريين كما يصفها كريك — أن نعرف أن بعض هذه السمات المميزة مأخوذة من ملاحظة الأطفال الاجتراريين أنفسهم، أو أن هذه السمات من الممكن ملاحظتها ورؤيتها لدى الأطفال العاديين فى أثناء بعض فترات نموهم.

(١) حديث قصير، حديث برقى Telegraphic Speech

مصطلح يصف حديث الأطفال الصغار جداً فى مرحلة الكلام الطفلى Duosstage ، وهى التى تنحصر بالتقريب بين الشهر الثامن عشر والشهر الثلاثين، وهى المرحلة التى يكون فيها تنظيم الحديث على هيئة تعبيرات من كلمتين، ومثل هذا الحديث برقى أو تلغرافى، ومن هنا فإنه يستخدم فقط الكلمات البارزة وذات العلاقة الوثيقة جداً من اللغة، بينما يتجنب أدوات التعريف وحروف الجر والكلمات الثانوية أو التابعة الأخرى (جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفافى، ١٩٩٦ : ٣٨٨٨) .

كما أن بعض هذه الملامح، يُلاحظ تكرارها في أنواع وأشكال أخرى من الإعاقة، فهناك وجود لظاهرة التكلف أو التأنق^(١) The Mannerisms لدى بعض الأطفال العميان، وكذلك لدى بعض الأطفال دون العاديين Subnormal children، والأطفال ذوي الإعاقات المتعددة . وهذا في واقع الأمر وحقيقته تحذير من عدم استخدام كلمة إجتراري Autistic استخداماً غير مميز ، دون إدراك الفرق بينه وبين غيره من المصطلحات المتداخلة معه . ذلك أنه في الأغلب الأعم نجد أنه من الصعب وضع أعراض تشخيصية فارقة بين الذاتوية " اعاقة التوحد " Autism ودون السوية (السلوك دون العادي) Subnormality^(٢) ، والعيب الحسى، وغيرهم من مشكلات التواصل الحادة الأخرى Other Severe Communication Problems ذلك أنه في بعض الحالات، نجد أن الأطفال العميان، أو الأطفال الصُم يظهرن سلوكاً إجترارياً، ومع ذلك يحرزون تقدماً جيداً جداً نحو السوية (العادية) Normality^(٣) .

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً، أن هناك نوع من التأمل الجدير بالإعتبار فيما يتعلق بطبيعة وأسباب الذاتوية " اعاقة التوحد " منذ أن ميزها " كانر" Kanner للمرة الأولى عن الأمراض الذهانية الأخرى في مراحلها الأولى وكان ذلك - كما سيقت الإشارة في الفصل الأول من هذا الكتاب - في عام

(١) عادات مميزة أو نمطية Mannerism

إيماءة أو تعبير وجهي أو عادة لفظية خاصة بالفرد . والسلوك من هذا النوع ربما كان له دلالة خفية يمكن أن تجد طريقها إلى الفهم من خلال العلاج طبقاً للتحليل النفسى، وهى فى كل الحالات سلوك نمطى يميز فرداً عن فرد آخر (جابر عبد الحميد، وعلاء كفاى، ١٩٩٢، الجزء الخامس، ٢٠٦٨) .

(٢) دون السوية Subnormality

أى دون المستوى السوى أو الطبيعى أو العادى، أى أقل منه باستخدام معيار معين، دون المتوسط .

(٣) السواء Normality

فى الطب النفسى وعلم النفس، مفهوم عريض يكافئ على نحو تقريبي الصحة العقلية، ولا يوجد مقياس صارم دقيق للسواء النفسى، ويتفاوت المفهوم من ثقافة إلى أخرى، إلا أنه تتوافر معايير مرنة لتمييز السواء عن الشذوذ لدى الفرد وهى التحرر من الصراعات الداخلية التى تجعله عاجزاً وغير مؤهل، القدرة على التفكير والفعل بطريقة منظمة وفعالة على نحو معقول، والقدرة على التصدى لمطالب الحياة العادية ومشكلاتها، والتحرر من الكرب الإنفعالى المتطرف كالقلق واليأس، والاضطراب المستمر، وغيبة أعراض واضحة للاضطراب العقلى كالوساوس والمخاوف المرضية والخلط وفقدان الوجة . (جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفاى، ١٩٩٢، الجزء الخامس، ٢٤٢٧ - ٢٤٢٨) .

١٩٤٣ . فقد كان هو نفسه يعتقد أن هناك بعض العيوب الفطرية الموروثة Inborn defect تستثار بفعل البرود الإنفعالي Emotional Coldness (تجاه الطفل الإجتزاري) من قبل الوالدين؛ في حين يؤكد باحثون آخرون - غير "كانر" - بشكل أكبر على تأثير العوامل السيكولوجية في تنشئة الطفل، وعلى وجهة النظر القائلة بأنه في وقت ما من الأوقات كانت أمهات الأطفال الإجتزاريين بارديات إنفعالياً ومنسحبات اجتماعياً . وربما كان يغذى هذه النظرة التكرار النسبي (لتواتر القرابة) لدى الوالدين من الناحيتين العقلية والمهنية، وأيضاً من خلال الحقيقة القائلة أن الأم تعاني من صدود ابنها الإجتزاري نتيجة عجزه عن الاستجابة لها، وهذا هو السبب في أنها لا تميل تماماً إلى إظهار أنها ليست على صلة به وأن العلاقة التواصلية بينهما شبه مقطوعة . (وهذه الحيرة، وهذا الارتباك كسبب وكنتيجة في آن واحد، يمكن أن يضاف إليه التعاسة التي يعاني منها كثير من الأمهات، ويعد هذا درساً مستهدفاً لنا في توجيه وتربية هذه النوعية من الأطفال الصغار المضطربين . ثم أنه غالباً ما يكون من السهل أن ندرك أن العيب أو النقص لدى الطفل يكون ناشئاً عن الأخطاء الوالدية Parental faults ، وسوء إدارة المنزل، لكن - أيضاً - في بعض الحالات يكون سلوك الوالدين مجرد استجابة للصعوبات التي يعاني منها الطفل . وفي جميع الحالات، يكون من الأفضل أن ننظر إلى علاقة الطفل بالوالدين - كل على حدة - كتفاعل فريد في نوعه، والذي يتعين تقييمه بطريقة تضع في اعتبارها المصاعب العملية في التشخيص وبأسلوب يتسم بالمشاركة الوجدانية) .

وفي ضوء ما يذكره "كريك" يتضح أن الإقتراض الذي يتعين وضعه في الاعتبار هو ما إذا كانت الذاتية "اعاقة التوحد" نتيجة لتلف في المخ Brain damage أم لا . وهذا الافتراض يدعمه الحقيقة القائلة بأن التهاب الدماغ (المخ)^(١) Encephalitis يمكن أن يؤدي إلى حدوث اضطراب الذاتية "اعاقة التوحد"، كما أن هناك دليل على أن تلف المخ (أو إصابة المخ) هو

(١) إلتهاب الدماغ Encephalitis

إلتهاب المخ الذي يحدث نتيجة لعوامل كثيرة منها المعادن الثقيلة مثلما في حال إلتهاب الدماغ الرصاصي . ولكن معظم الحالات تحدث نتيجة الفيروسات التي ربما تنقل بواسطة القراد (حشرة تمتص الدم) أو الناموس أو أي حشرات من التي تعض أو من خلال العدوى نتيجة الاختلاط بالمرضى . وقد تكون الأعراض معتدلة شبيهة بخصائص الانفلونزا، أو قد تكون خطيرة جداً مصحوبة بالحمى والهتزاز والتشنجات والغيوبية والموت (جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفاي، ١٩٩٠، الجزء الثالث، ص ١١٢٨) .

أحد الأسباب لحدوث الذاتوية " اعاقة التوحد " لدى طفل واحد من بين كل أربعة أطفال إجتراريين . وعلاوة على ذلك؛ فإن بعض العيوب أو أوجه النقص في عملية الإدراك الحسى، والتفكير، واللغة، هي - بلا شك - التى تذكرنا بأنها لا تحدث إلا عند الأطفال المصابين بتلف فى المخ، وعلى أية حال، فإن الدليل على أن تلف المخ هو الكامن وراء إصابة الطفل بالذاتوية " اعاقة التوحد "، ما يزال دليلاً يفتقر إلى البرهنة عليه - على الأقل - لدى نصف حالات الأطفال الإجتراريين .

ولقد استمرت نقاط كريك التسع مقبولة من جانب العاملين فى مجال التربية الخاصة كأساس يقوم عليه تشخيص ذهان الطفولة خلال الستينيات من هذا القرن، غير أن كل من " روتر " Rutter (١٩٦٦)، و " لوك يسير " Lockyear (١٩٦٧) قد انتقدا استخدام هذه النقاط فى التشخيص مشيرين إلى أن هناك تداخلاً بين هذه النقاط مع عدم وجود معلومات محددة لتحديد كم من النقاط التسع الضرورية أو التى تكفى للتشخيص . واستخدم كل من " روتر " و " لوك يسير " كبديل لهذه النقاط قائمة مراجعة فى دراساتهم لمقارنة (٦٣) ثلاث وستين طفلاً ذهانياً ممن يعانون من اضطرابات انفعالية وسلوكية . وقد اشتملت هذه القائمة على البنود التالية : العلاقات، الكلام، الحركة، التركيز، إيذاء الذات، الاستجابة للألم، والمشكلات السلوكية .

وخلال عقد الستينات أيضاً، كان " جولد فارب " Goldfarb (١٩٦٤) قد أشار إلى وجود نوعين من أنواع فصام الطفولة، الأول عضوى والثانى غير عضوى، بالإضافة إلى أنه ذكر أن هناك ثلاثة انحرافات سلوكية كبرى للتمييز بين هذين النوعين وسلوك الأطفال العاديين وهذه الإنحرافات السلوكية الثلاثة هي :

- ١- سلوك استقبالي شاذ يتركز فى عدم الانتباه السمعى .
- ٢- اضطراب فى الوعى بالذات Self-awareness Disorder (اضطراب فى بصر الفرد بالأسباب والعوامل التى تكمن وراء سلوكه، ومعرفة له صفاته وخصائصه التى تميزه عن غيره من الناس، وفهمه لنفسه بصفة عامة).

٣- اضطراب في التواصل (١) .
إلا أن " جولد فارب " لم تعرّف هذه الانحرافات تعريفات إجرائية .

ويذكر القريوتي وآخرون (١٩٩٥: ٣٦٩) أن كل من " أورنتز ورتفو " (Ornitz & Ritvo (1973) قد أشار إلى أن الذاتوية " اعاقّة التوحد " (الأوتوسية)، يجب التعرف عليها عن طريق ملاحظة السلوك . وأن هذه السلوكيات تحدث كمجموعات من الأعراض التي تعكس شذوذ النمو، وتتضمن هذه الجوانب : تنظيم الإدراكات، أنماط الحركة، المقدرة على التعلق، اللغة، والسرعة في النمو . ومع أنهما لا يوافقان على وجهة النظر القائلة بأن الذاتوية " اعاقّة التوحد " يجب أن يتم التعرف عليها وتشخيصها كزملة أعراض سلوكية، إلا أن " أورنتز ورتفو " يضيفان أنه يجب اعتبارها مرضاً . ووجهة نظرهما تلك، لها ما يبررها، فهما لا يعترفان بوجود عرض بمفرده، أو مجموعة من الأعراض تحدث بشكل متزامن، علاوة على أنه لا يوجد عرض واحد أو مجموعة من الأعراض تدل على وجود المرض . وذكرنا - بالإضافة إلى ماسبق - أن الفشل في النمو لدى الأطفال الذين يعانون من الذاتوية " اعاقّة التوحد " سببه اضطراب تنظيم الإحساس .

ولقد بين " كوجل وآخرون " (Koegel et al, 1982) أن الأطفال ذوي الأوتيزم (التوحد) تظهر عليهم أعراض الانسحاب الإجتماعي، والانتواء على النفس، وعدم القدرة على إقامة علاقات إجتماعية مع الآخرين، كما يوجد لديهم اضطراب في اللغة، وفي القدرات الإدراكية والمعرفية، كما أنهم يعانون من ضعف في الانتباه، وعدم القدرة على فهم التعليمات اللفظية، والتحكم في الحركات الدقيقة، فضلا عن وجود نشاط حركي مفرط (عبدالمنان معمور، ١٩٩٧: ٤٣٧) .

كما ذكر " سبيتزر " (Spitzer, 1987) أن أعراض الأوتيزم تنحصر في ثلاثة عناصر رئيسية هي :

- (أ) اضطراب كفي في التفاعل الإجتماعي .
- (ب) اضطراب في النشاط التخيلي، والقدرة على التواصل اللفظي، وغير اللفظي .

(١) يقصد باضطرابات التواصل هنا القصور في القدرة على نقل الأفكار والمشاعر عن طريق التخاطب أو الكتابة بمعدل عادي ودون تشويه المضمون أو الشكل، ومن أمثلة ذلك سرعة إلقاء الكلام Tachylogia ... إلخ .

(ج) الانغلاق على النفس وعدم الإهتمام بالأحداث والمنبهات الخارجية (المرجع السابق، ٤٣٧) .

ومن ناحية أخرى، يقترح " وارد " (Ward, 1990) أربعة محكات يتعين وضعها في الاعتبار عند تشخيص الذاتوية " اعاقاة التوحد " " الأوتوسية " لدى الأطفال، وهي :

- (١) عدم الارتباط بالأشياء .
 - (٢) ضعف استخدام اللغة وضعف التواصل مع الآخرين .
 - (٣) المحافظة على الرتابة والروتين .
 - (٤) ضعف في الوظائف العصبية .
- كما أشار أيضا إلى أن الكثير من الأفراد الاجتراريين يعانون من أسباب عضوية مرضية .

ويضع كل من زيدان السرطاوي وكمال سيسالم (١٩٨٧ : ٢٠٣) الذاتوية " اعاقاة التوحد " ضمن أحد الخصائص السلوكية الثمانية التي تميز فئة الأطفال المضطربين سلوكيا (وهي الذكاء، التحصيل الدراسي، السلوك العدواني، النشاط الحركي الزائد وتشتت الانتباه والاندفاع، القلق، الانسحاب/ الانطواء، سوء التكيف الاجتماعي، والذاتوية " اعاقاة التوحد " " الأوتوسية") .

ويريان أن كلمة " الذاتوية " اعاقاة التوحد " تعتبر تعريفاً لمصطلح " الأوتوسية " Autism ، وأن البعض عرّبها بـ " التوحد " وأنها تعتبر واحدة من الخصائص السلوكية الشائعة عند كثير من الأطفال المضطربين سلوكياً خاصة ممن يعانون من اضطرابات سلوكية حادة، وأن الذاتوية " اعاقاة التوحد " تتمثل في التمرکز حول الذات، وفي انشغال الطفل بذاته، بصورة أكثر من انشغاله بالعالم الخارجى . وفي ضوء هذا التعريف يتفقان مع كل من " هيوارد وأورلانسكى " (١٩٨٠) على وجود ست خصائص تتوافق لدى الأطفال الاجتراريين وهي :

(أ) العجز الجسمي الظاهري :

فقد يتحرك شخص ما أمام الطفل بشكل مباشر، ويتسم له، ويتكلم معه، ومع ذلك فإنه يتصرف كما لو لم يكن هنالك أحد، وقد لا يشعر أحد بأن الطفل يتجنب أفراد الأسرة، بل ويتجاهلهم، لأنه يبدو كما لو أنه لا يشاهد أحداً أو يسمع أحداً . وغالبا ما تشك الأم في أن طفلها أصم أو كفيف .

(ب) البرود العاطفي الشديد :

من الخصائص الأخرى التي تلاحظ بشكل متكرر على الطفل الإجتراري عدم الاستجابة لمحاولة الحب أو العناق أو إظهار مشاعر العطف . ويذهب الوالدان إلى أن طفلهما لا يعرف أحداً ولا يهتم بأن يكون وحيداً أو في صحبة الآخرين .

(ج) الإشارة الذاتية :

من أكثر أنواع السلوك الملفتة للنظر لدى هؤلاء الأطفال تكرار الأفعال أو القيام بأعمال نمطية مثل سلوك الإهتزاز (هز الجسم إلى الأمام وإلى الخلف أثناء الجلوس، والدوران حول النفس، والتلويح بالذراعين، والهمهمة وترديد ثلاث أو أربعة كلمات، أو جمل معينة لفترة طويلة من الوقت) .

(د) سلوك إيذاء الذات ونوبات الغضب :

مع أن الطفل قد لا يكون منشغلاً بأشياء يمكن أن تؤذي، وذلك عندما تقابله لأول مرة، إلا أن الوالدين غالباً ما يذكرون أن الطفل يعض نفسه في بعض الأحيان بشدة لدرجة ينزف معها دمه، وأنه قد يضرب وجهه بقيضة يده، أو قد يضرب رأسه في الحائط، أو يقطع أثاث حادة حتى تشورم رأسه ويصبح لونها أسوداً أو أزرقاً .

وفي بعض الأحيان يوجه الطفل عداوته نحو الآخرين في الأسرة أو المدرسة وذلك على شكل عض أو خريشة أو رفس، وقد يقضي بعض هؤلاء الأطفال الليل مستيقظين يصدرن أصواتاً، وبعضهم يمزق الأوراق ويرمي بها من النافذة، ويسكب الماء على الأرض .. إلخ . وغالباً ما يكون الوالدين عاجزين عن التعامل مع هذه الأنماط السلوكية .

(هـ) الكلام النمطي :

إن معظم هؤلاء الأطفال يتصرفون بـ"البكم"؛ فهم لا يتكلمون ولكنهم يهممون أو يطلقون أصواتاً بسيطة، وقد يكون كلامهم إعادة لكلام الأفراد الذين يتحدثون معهم، فعلى سبيل المثال، إذا وجهنا سؤالاً للطفل ما اسمك ؟ فمن المرجح أن تكون إجابته ما اسمك . وفي بعض الأحيان قد لا يكون التكرار النمطي مباشراً، ولكنه قد يأتي متأخراً، فقد يعيد الطفل بعض العبارات التي سمعها في الصباح أو في اليوم السابق، أو قد يقوم بإعادة الإعلانات التي يشاهدها في التلفزيون وغير ذلك .

(و) قصور السلوك :

من أنماط السلوك الملقنة للنظر، والتي يتصف بها الطفل الإجتراري، أو التوحدي : التأخر في نمو السلوك، أو قصور السلوك، فالطفل الإجتراري الذي يبلغ من العمر خمس سنوات، قد يُظهر سلوكاً يتناسب مع سلوك الطفل العادي ذو السنة الواحدة من العمر، فبالنسبة لمهارات العناية بالذات على سبيل المثال، نجده لا يمتلك منها إلا القليل، ويحتاج إلى من يقوم بإطعامه وإلى من يساعده على ارتداء ملابسه . وقد لا يلعب بالألعاب، ولكنه قد يضعها في فمه تماماً مثل الطفل الرضيع، وقد يضرب على الألعاب بأصابعه بشكل مستمر، كما أنه لا يعياً بمواطن الخطر .

وتتقل لنا " نيفين زيور " (١٩٨٨ : ٨٨ - ٨٩) نظرة " مارجريت ماهلر " (١) إلى الذهان الذاتوي (الأوتيسية) على أنه حالة من التثبيت أو

(١) مارجريت سكونبرجر ماهلر Mahler, Margaret Schoenberger

عالمة نفس أمريكية مجرية المولد (١٨٩٧)، اهتمت بدراسة الأمراض النفسية في مرحلتى الطفولة والمراهقة . ومن بين المصطلحات التي تداولتها :

* المرحلة الذاتية أو الذاتوية " اعاقه التوحد " Autistic Phase

وفقاً لما تراه " ماهلر " هي المرحلة الأولى من نمو الاحساس بالذات، وخلالها لا يتحقق التمييز بين الذات والشيء . وتستغرق الأسابيع القليلة الأولى من الحياة، وتكون الاستجابات الغريزية للمثيرات على المستوى الانعكاسي والمهادي Thalamic ولا تكون الأنا متكاملة أو موحدة . (جابر عبد الحميد وعلاء كفاقي، ١٩٨٨، ج ١ : ٣١٦) .

* الذهان الإجتراري أو الذاتوي : Autistic Psychosis

وفقاً لما تراه " ماهلر " هو شكل من أشكال الذهان الطفلي فيه تكون بنية الأنا معيبة بنويًا، ولا يستطيع الطفل أن يحافظ على العلاقة التكافلية مع أمه . والطفل يتبنى الذاتوية " اعاقه التوحد " كدفاع ضد المثيرات الخارجية والداخلية . (المرجع السابق، ص ٣١٧) .

* الحال النهائية End State

كما تصفها " ماهلر " هي : الوصف المفصل للخصائص التي تحدد سلوكاً معيناً في صورته المتطورة مثل وصف جوانب وخصائص الفردية كنتيجة نهائية لعملية الانفصال الفردي .

والحال النهائية هي هدف أو نورة المراحل التقدمية للنمو . وبمجرد أن تحدد الحال النهائية فإن الاهتمام يتركز على الوصف الدقيق للمراحل التي تؤدي إليها . ومفهوم الحال النهائية أمر مهم في علم النفس النمائي . (جابر عبد الحميد وعلاء كفاقي، ١٩٩٠، الجزء الثالث، ١١٣٧) .

* التفرد : Individuation

مرحلة من النمو تحدث من الشهر الثامن عشر إلى الشهر السادس والثلاثين وهي الفترة التي يصبح فيها الوليد أقل اعتماداً على الأم ويبدأ في اشباع رغباته الخاصة، وفي أن

النكوص إلى الذاتية السوية (التمركز السوي حول الذات) مما ينتج عنه تشوهات في هذه المرحلة، ويخفق الطفل في إدراك أمه بوضوح، كما يخفق في التفرقة بين ما بداخل جسمه وما بخارجه، وتبقى أن من وجهة النظر الدينامية، فإن الصورة على هذا النحو إنما تشير إلى هلوسة سلبية ترتبط بعجز الطفل عن التوجه نحو العالم الخارجى .

فالطفل الذى يمكن أن نطلق عليه اسم الطفل الذهائى الذاتوى (الإجترارى)، هو هذا الطفل الذى يبدو منغلقا على نفسه داخل دائرة تحمل صفة القدرة المطلقة السحرية، تلك التى تعدها " ماهر " بمثابة الدفاع ضد تفاضل وفض الحيوية . ويكون هناك فض الاستثمارات فى المدركات عن بُعد؛ تلك التى يدفع ثمنها الطفل فى شكل صمم مصطنع ويستشعر الطفل بناء على ذلك الخطر فى الواقع الخارجى، ذلك الخطر الدائم الذى يهدد توازنه الداخلى . ولذلك فإنه يوطد بناء حاجز المثبرات، ويمكننا أيضا أن نلاحظ فى مثل هذه الحالات غيابا فى استثمار الليبيدو^(١) فى السطح الخارجى للجسم (الأمر الذى نراه واضحا فى غياب الإحساس بالألم لدى هؤلاء الأطفال)

يعتمد على نفسه فى تدبير أموره . (جابر عبد الحميد، علاء كفاى، ١٩٩١، الجزء الرابع، ١٧١٠ .)

(١) الليبيدو : Libido

(أ) المعنى الضيق لهذا المصطلح هو البحث عن الاثباح الجنسى، يقول فرويد : ' لتفسير الحاجات الجنسية لدى الإنسان والحيوان، نستعين فى علم الحياة بفرض وجود ' غريزة جنسية '، كما نفترض غريزة التغذية لتفسير الجوع، غير أنه ليس فى اللغة الدارجة، فيما يتعلق بالحاجة الجنسية، ما يقابل كلمة جوع، لذلك يستخدم العلم كلمة ليبيدو ' .

(ب) المعنى الثانى لهذا المصطلح : طاقة غريزة الحياة التى تتوزع بين الأنا (الليبيدو النرجسى) والموضوعات أو الأشخاص (الليبيدو الموضوعى). فهو من ثمة ' الطاقة ' (باعتبارها مقدارا كميًا لا يمكن قياسه حاليا) والطاقة هى التى تدخل فى كل ما تتضمنه كلمة ' حب ' . وجوهر ما نعينه بالحب يتكون من الحب الجنسى الذى يستهدف الإتصال الجنسى (وهو ما يسمى عادة بالحب ويتغنى به الشعراء) . بيد أننا لا نفصل عن هذا المعنى كل ما له أية حصة من اسم الحب - من ناحية حب الذات، ومن ناحية أخرى حب الوالدين والأطفال والصدائفة وحب الإنسانية على وجه العموم، بالإضافة إلى ولاء للموضوعات العينية والأفكار المجردة . (فرويد، ١٩٨٠ : ١٠٦) .

وكذلك غياباً في شحن المناطق الشبقية^(١) ، ويستبدل الطفل الأنشطة الشبقية الذاتية، بأنشطة عدوانية ذاتية Auto--Aggressive تلك التي نعتبرها في حقيقة الأمر محاولة الإحساس بحدود خارجية للجسد .

وإذا انتقلنا إلى الصورة الكلينيكية من وجهة نظر " ماهر " فسنلاحظ أنها تشير إلى وجود تدهور شديد لدى الطفل في أثناء السنة الثانية أو الثالثة من العمر في الوظائف التي كان قد قطع فيها شوطاً كبيراً، فنرى تراجعاً في القدرة على الكلام، الأمر الذي لا نرى له مثيلاً في أي من الوظائف الأخرى.

ومما يساعد على ظهور أعراض الذهان في شكل دفاعات ومحاولات اصلاحية فقدان الإحساس بالحدود الخارجية للذات، وكذلك الاستجابة العنيفة للاحتباطات، ثم الأنشطة السحرية، وحالات الفزع الشديد والمصاداة (ترديد المريض لما يقوله الآخرين) Echolilia ، والعكس، أي ترديد المريض لما يقوله هو نفسه مرات ومرات، وأن الفيتيش الذهاني — محاولة إصلاح في شكل تحكم في الموضوع — يظهر في شكل لعبة مشحونة شحناً زائداً — وتبزغ العمليات الأولية بسهولة .

ويرتبط نمط العلاقة بين الطفل — الأم بشكل الصورة الكلينيكية لدى الطفل الإجتراري ارتباطاً وثيقاً . وهنا يتعين القول أن " ماهر " تستبعد عند حديثها عن مسببات الذهان في الطفولة، على نحو حاسم، فكرة الأم المسببة للمرض الذهاني . وتري " ماهر " أنه في كثير من حالات الذهان في الطفولة وعلى رأسها الذهان الذاتوي (الإجتراري) يأخذ العامل الوراثي دوراً هاماً في تكوين الأعراض في شكل الاستعداد للوقوع فريسة للحصر — القلق — الذي تشيد بناءً عليه اضطراب علاقة الأم — الطفل، الأمر الذي نراه على وجه الخصوص في مناقشاتها والتي لا تخلو من الاضطراب في حالات الذهان في الطفولة (نيفين زيور، ١٩٨٨ : ٩٣) .

ومن خلال إحتكاكها الدائم مع حالات الذهان في الطفولة، استطاعت " ماهر " أن تلاحظ أنماطاً في العلاقات بين الآباء وأطفالهم جد مختلفة وشديدة التباين بدءاً من آباء كانوا يبدون كأنهم أسوياء تماماً، وانتهاءً بآباء يتسمون

^(١) المناطق الشبقية (أو الشهوية) Erogenous Zones

مناطق ذات حساسية في الجسم تحدث إستثارتهامشاعر لاذة .

بالبرود التام فى علاقاتهم كما إحتكت أيضا بأباء ذهانيين بالفعل . وتخلص " ماهر" بأنها لم تجد فروقا دالة واضحة فيما بين الأباء النرجسيين والأباء المكتئبين .

كما تقرر أنه فى كثير من الأحيان يساهم عامل الاستعداد الوراثى - لقصور فى بناء الأنا - فى خلق دائرة مفرغة تفضى فى النهاية إلى حدوث اضطراب فى علاقة الأم - الطفل . وتؤكد " ماهر" أيضا على دور المواقف الصدمية فى الطفولة المبكرة، وتخص بالذكر الأمراض العضوية التى تستمر فترة طويلة من الزمن بحيث تتدخل كى تفض الإلتحام للمظاهر الانشطارية الجيدة أو السيئة للموضوع وللذات .

وتصر " ماهر" بنفس القدر على حقيقة أن الشحن الدائم من قبل الأم لطفلها قد يتحول على نحو درامى وعميق بعد تقدم الطفل فى مراحل النمو، وفى أعقاب قدرة الطفل على الإبتعاد عنها فى المكان، مما يشير إلى أن هذه الأم، لا تستطيع أن تتخلى عن اشياعاتها التى تستمدها من موقفها السمبوزى الاعتمادى (الاتكالى) مع طفلها - أثناء السنة الأولى من العمر - وقد تفض شحنها لطفلها متى وصل لسن الثانية من عمره . مما يؤدى إلى جروح غائرة فى نرجسيته تلك التى تفضى عليها " ماهر" أهمية قصوى بقدر ما تعلق أهمية كبرى على آثارها .

وما دنا بصدد الحديث عن نمط التفاعل بين الطفل - الأم، فإنه تجدر الإشارة إلى أن أهم ما يميز التفاعل بين الطفل - الأم فى حالات الذهان فى الطفولة هو ما نطلق عليه Mismatching ذلك الذى يشير إلى إخفاق متبادل فى القدرة على التواصل بين الأم والطفل . (إلا أن الأمر قد يذهب إلى أبعد من ذلك بكثير، حيث نجد كثيرا من الأمهات يقمن بإستخدام ميكانيزم الإنكار^(١) لما يدركنه من رسائل أو إشارات يبعثها الطفل لهن . ومثل هؤلاء الأمهات لا يمكنهن أن يتحملن المطالب الاعتمادية أو التكافلية (السيمبوزية) لطفلهن ونجدهن يتحولن مبتعدات عن الطفل فى اللحظة التى يبعث فيها الطفل بإشارات على مطالبه السيمبوزية .

(١) ميكانيزم " الإنكار " Denial

حيلة دفاعية تعمل على حجب الأحداث والرغبات والأفكار المثيرة للقلق والألم، ويعمل هذا الميكانيزم على المستوى اللاشعورى (لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى : جابر عبد الحميد وعلاء كفاى، ١٩٩٠، الجزء الثالث، ص ٩٠٩) .

ويمكن تفسير هذا السلوك الخاص بالأمهات على أنه يرجع إلى أنهن يجدن في الحالة الخاصة بأطفالهن فرصة لنكوص شبيه بالفصام^(١) Schizoid على نحو مرأوي - وهو تراجع نكوص للأم يحمل سمات بدرجات مختلفة من الخلط والعداء ومثل هؤلاء الأمهات مخالقات لأمهات الأطفال المصابين بالذهان السميوزي، اللاتي يخضعن تماماً لرغبات الطفل، ويستبقين على نحو محايد على هذه القدرة المطلقة السحرية للطفل الموجودة في السميوز - وفي مثل هذه الحالات نرى موضوع رغبة الأم نفسها في أن تشبع حاجاتها خلال السميوز الطفلي، فهي تعيش السميوز لتستمد منه حاجتها هي السميوزية على نحو طفلي (نيفين زيور، المرجع السابق، ص ٩٤).

- مثال على علاقة أم - طفل في حالة الذهان الذاتي (الاجتراري) :

تضرب لنا نيفين زيور (١٩٨٨ : ٩٥ - ٩٦) مثالا لنمط العلاقة بين الأم/الطفل في إحدى حالات الذهان الذاتي (الاجتراري) ترى فيه أن هذه العلاقة تتميز بأن شخصية الأم تتسم بسمات بعينها، أهمها صغر سنها وبأن شخصية الأم طفلية، وأنها قد افتقدت في طفولتها هي نفسها إلى العلاقات الأسرية الوثيقة والمشبعة، وقد أشرفت على تربيتها جدتها، التي كانت - أي الجدة - تتسم بالسادية^(٢) في معاملتها، فشعرت معها بالوحدة، وحينئذ كونت تخيلاً دائماً على أنها حصلت على شيء ثمين وانشغلت به تماماً، (ما سيعنى بعد ذلك طفلها) وهكذا فإن علاقتها بطفلها يمكن أن تعتبر استمراراً لعلاقة سابقة، كانت قد كونتها مع دمية مفضلة لها، وهكذا فإن الطفل لا يعد بالنسبة لها إلا دمية صغيرة غير حية، ولقد وقعت هذه الأم فريسة اكتئاب عميق بعد ميلاد طفلها بحوالى ستة أشهر بحيث تميزت علاقتها بطفلها بالقرب الوثيق بعد ميلاده مباشرة، ثم انقلبت أحاسيسها تماماً تجاهه بحيث

^(١) شبه الفصامية، شبيه بالفصام، انفصامية Schizoidism

مركب من عوامل سلوكية تشمل العزلة Seclusiveness والهدوء quietness، وسمات الانطواء الأخرى التي تدل على انفصال الشخص عن الوسط المحيط به، وحصر الميول النفسية في ذاته، وفي كثير من الحالات يوجد الميل نحو الفصام (جابر عبد الحميد وعلاء كفاي، ١٩٩٥، الجزء السابع، ٣٣٨٥).

^(٢) السادية : Sadism

مصطلح يشير إلى القسوة بصفة عامة .. وأيضاً إلى اشتقاق اللذة عن طريق إيذاء الآخرين أو إذلالهم، أو الابتهاج بممارسة الأعمال الوحشية .

أخفقت هذه الأم تماما في إشباع مطالب طفلها مع بدايات مرحلة التقارب . فقد تحولت عنه، وكأنها فقدت اهتمامها به وهكذا يمكن وصف علاقتها بطفلها على أنها علاقة حميمة للغاية مع الميلاد، ثم انقلبت بعد فترة قصيرة وتحولت إلى الضد . وهانحن نرى استجابة هذه الأم لبكاء طفلها بثورة غضب، وأحيانا يعنف فيزيقي، وبسرعة يتوقف الطفل عن بعث إشارات له لأمه؛ تلك التي كان يرسلها لها سواء عن طريق البكاء أو الثغاء أو عن طريق نظراته .

وقد ركزت جلسات التحليل النفسي - لهذه الأم - على الإبتسامة الغامضة التي كانت الأم تختفي وراءها، عندما جاءت بطفلها إلى العلاج . فقد كانت الأم تتوتر تماما عندما تتعامل مع طفلها، وكان من الصعب أن تظل على نمط محدد في العلاقات مع طفلها . وحينما كان الطفل يبدي علامات على التراجع، كانت هي على نحو مرآوي Enmirror تتراجع هي أيضا على نحو واضح . وكانت نادرا ما تتحدث مع طفلها، بينما كانت لحظات التواصل القليلة بينهما هي تلك اللحظات التي كانت تعزف أثناءها على آلة البيانو (عملها الأصلي) وفي النهاية تحول هذا الطفل إلى طفل ذي قدرة موسيقية عظيمة .

وتختتم نيفين زيور هذا المثال بقولها :

أن أساس علاقة هذه الأم مع طفلها تتركز حول إستجابة دفاعية من جانب الأم في شكل شبيه بالفصام Schizoid كي تحمي طفلها من رغباتها في قتله، وهي إستجابة دفاعية، تقوم على النقل والعزل كميكانيزمين دفاعيين، وهكذا يرتبط التراجع الذاتوي (الاجتراري) للطفل بوقوعه فريسة الخلط في مواجهة المظاهر المتناقضة والمفارقة التي تبديها أمه تجاهه من جانب، وتتفق استجاباته الذاتوية (الذاتوية " اعاقاة التوحد ") من جانب آخر، مع إخفاق الأم في أن تجيب على رسائله وكذلك اخفاقها في أن تكون هناك إلى جواره تستجيب له حتى ولو على نحو عنيف .

كما تجدر الإشارة إلى أن الدليل التشخيصي والاحصائي للاضطرابات العقلية الذي يصدر عن الرابطة الأمريكية للطب النفسي قد وضع تصنيفين للاجترارية، أطلق على التصنيف الأول اسم : الذاتوية " اعاقاة التوحد " الطفلية ذات الأعراض الكاملة ، وأطلق على التصنيف الثاني اسم : الذاتوية " اعاقاة التوحد " الطفلية ذات الأعراض المتبقية .

ويمكن الإشارة إلى المحكات التشخيصية للإجترارية الطفلية ذات الأعراض الكاملة على النحو التالي :

(أ) بدء الاضطراب قبل سن (٣٠) شهرا .
(ب) العجز عن الاستجابة للآخرين .
(ج) اضطراب شديد في النمو اللغوي .
(د) أنماط كلامية شاذة وغريبة (مثل تقليد الكلام المباشر، أو قلب الضمانر)
(هـ) استجابات بيئية غير سوية (مثل مقاومة التغيير، أو التعلق والاهتمام بموضوعات شاذة) .
(و) غياب الأوهام والهالوس وفقدان الترابط، وغياب الكلام المفكك (غير المترابط) كما يحدث عند الإصابة بالفصام .

ويمكن الإشارة إلى المحكات التشخيصية للاجترارية الطفلية ذات الأعراض المتبقية على النحو التالي :

(أ) الإصابة بالاضطراب سابقاً ثم الشفاء منه وعودة بعض الأعراض .
(ب) الصورة الكليника الحالية لا تشير إلى وجود أعراض التصنيف الأول كاملة (A. P. A, 1987) .

ويشير فتحى عبد الرحيم (١٩٩٠: ١٧٠) إلى الذاتوية " اعاقة التوحد " تحت مسمى التمرکز الطفلى حول الذات Early infantile autism فى ضوء ما أورده كل من " تيلفورد " Telford و " ساورى " Sawery فى تصنيفهما للاضطرابات الانفعالية على أساس مظاهر القلق Anxiety والانسحاب Withdrawal، والعدوان الذى يتميز بالعنف Hostile aggression وذلك بأن وضعها الذاتوية " اعاقة التوحد " ضمن مظاهر الانسحاب من الواقع Withdrawal from reality وذكر أنها تشتمل على حالات تتميز بـ : -
(أ) الانفصال الشديد عن الواقع .
(ب) القصور أو الإخفاق فى تطوير علاقات انفعالية وعاطفية مع الآخرين .
(ج) التردد الآلى (المصاداة Echolalia^(١)) للكلمات أو المقاطع التى ينطق بها الآخرون .

(١) يسمى تردد الفرد لما يقال بظاهرة البيغانتية، المصاداة (إيكولاليا) Echolalia وهى التكرار الآلى للكلمات والجمل المنطوقة من جانب شخص آخر . وهذا السلوك هو عرض عند الفصامين التخشبيين، وعند بعض مرضى اضطراب " توريتى " Tourette's

- (د) الجمود بمعنى المحافظة على نفس الاشياء ومعارضة أى تغيير فى الحياة الروتينية .
(هـ) الثبوت ويعنى التكرار للرتيب للأفعال أو الأقوال .

وتقد اشار " فليسبرج " * (Flusberg, 1992) أنه يمكن تشخيص الأوتيزم من خلال فحص الأعراض التالية :
(أ) التعبير اللفظى واستخدام بعض الكلمات الشائعة .
(ب) العمليات الإدراكية والتعبير عنها .
(ج) العمليات المعرفية (عبد المنان معمور، مرجع سابق، ٤٣٧ - ٤٣٨) .

كما أوضح " بورتر وآخرون " * (Porter, et al, 1992) أنه يمكن تشخيص الطفل على أنه (لوتيزم) أو طفل إجترارى إذا كانت لديه الأعراض التالية:
(أ) نشاط حركى مفرط .
(ب) اضطراب فى كل من الإلتباه والإدراك واللغة . (المرجع السابق، ص ٤٣٨) .

ويرسم محمود حمودة (١٩٩١ : ٩٨) الصورة الكلينيكية للطفل التوحدى أو الذاتوى - كما يطلق هو عليه - بأنه طفل يتسم بخلل فى التفاعل الاجتماعى، حيث يفشل فى تنمية علاقات مع الأشخاص، ويعانى من نقص الاستجابة للآخرين والاهتمام بهم، ويظهر ذلك فى عدم دفاء العناق معه، ونقص التواصل بالعينين والوجه، وعدم التمايز أو كراهية العواطف والتلامس الجسمانى، ونتيجة لذلك يشك الوالدان فى أن الطفل أصم، ولكن تجدر الإشارة إلى أن الصمم نادرا ما يرتبط بعدم التمايز الاجتماعى .. وقد

disorder ، ومرض " بيك Pick's disease ، ومرض الزايمر Alzheimer's disease والتصلب المنتشر Diffuse Sclerosis ، ويسمى أيضا صدى العبارات Echophrasia ، أو صدى الحديث Echo-Speech (جابر عبد الحميد وعلاء كفاتى، ١٩٩٠، الجزء الثالث، ١٠٦٤) .

وهناك من يعرف المصداة بأنها حالة كلامية تتميز بالترديد القسرى اللا إرادى لما يقرله الآخرون من كلمات أو مقاطع أو أصوات بصورة تبدو كأنه صدى لهم . وهى تعتبر إحدى خصائص التخلف العتلى الشديد (الشخصين والدماطى، ١٩٩٢ : ١٥٥) .

يرتبط الطفل ميكانيكياً بشخص بعينه، وأحياناً يكون ارتباط بعض هؤلاء الأطفال بوالديهم غريباً، مثل الطفل الذي يبدو أنه يتعرف على والدته أساساً عن طريق الشم .. وفي بعض الحالات يتبع الاضطراب فترة من النمو الطبيعي نسبياً، حيث يكون الطفل إجتماعياً في سنواته الأولى، ولكن يلاحظ في الطفولة المبكرة وجود فشل ثابت في نمو اللعب الجماعي واللعب الخيالي والصدقة، وقلة منهم يصبحون أكثر وعياً إجتماعياً ويهتمون بالآخرين، وقد يصلون إلى مرحلة من الاندماج السلبي في ألعاب الأطفال الآخرين، أو يستخدم الأطفال كوسائل ميكانيكية في سلوكه المتكرر ألياً .

وتتحدد ملامح الصورة الكلينيكية للطفل التوحدي - في ضوء ما عرضه محمود حمودة في ثلاث مكونات تتضح خلالها الاختلالات التي يتصف بها الطفل المصاب بهذا الاضطراب، وذلك على النحو التالي :

- (١) الاختلال في التواصل مع الآخرين . (٢) الاختلال في النشاط التخيلي .
- (٣) النمطية اللفظية .

أما الاختلال في التواصل مع الآخرين فيشمل المهارات اللفظية وغير اللفظية؛ فقد تغيب اللغة كلية، وقد تنمو ولكن دون نضج وبتركيب لغوي ركيك، مع ترديد الكلمات (رجع الكلام) Echolalia المباشر أو المتأخر، والاستعمال الخاطئ للضمائر (حيث يستعمل " أنت " عندما يود أن يقول " أنا ")، وعدم القدرة على تسمية الأشياء، وعدم القدرة على استعمال المصطلحات المجردة، ويكون للطفل نطق خاص به يعرف معناه فقط من يخبرون ماضي الطفل، ولقد أسماها " كائز " لغة مجازية^(١) Metaphorical Language ويكون الكلام على وتيرة واحدة، أما التواصل غير لفظي مثل تعبيرات الوجه والإيماءات فغائبة أو نادرة، وإذا وجدت

(١) اللغة المجازية أو اللغة الاستعارية Metaphoric Language

يعنى هذا المصطلح في التحليل النفسي استخدام الاستعارات أو بعض القصص التي تعبر عن المشاعر والخبرات التي يبدو أنها تحدث في المراحل المبكرة جداً في الحياة خاصة في المرحلة قبل التناسلية . وتظهر هذه اللغة عند الذهانين خاصة الفصامين . كما تظهر عند العصابين . وبدل استخدام هذه اللغة على أحداث وتجارب حدثت عند هؤلاء المستخدمين لهذه اللغة في المراحل قبل التناسلية وعن الرغبات الأوديبية المكبوتة ويعكس مضمون هذه اللغة التوتر الغريزي . ولكن هذه اللغة تحدث أيضاً عند الأسوياء في الأحلام (جابر عبد الحميد وعلاء كفاي، ١٩٩٢، الجزء الخامس، ٢١٧١)، أما في حالات الأطفال الاجتراريين فيقصد بها أن الطفل له مفردات خاصة به يفهمها الذين يتعاملون معه وأنهم اعتادوا أن يسموها منه ويتصرفون معه في ضوءها .

فتكون غير مناسبة اجتماعياً وعندما لا توجد شذوذات واضحة في مهارات اللغة، فإن التواصل غالباً ما يكون به خلل يبدو في اللف والدوران واللغو الذي لا علاقة بين أطرافه وبنوده . أما اضطراب فهم اللغة فيبرهن عليه بواسطة عدم القدرة على فهم النكات والتورية في الألفاظ والسخرية .

وأما خلل النشاط التخيلي فقد يشمل غياب الترميز أو اللعب الخيالي باللعب (مثل الدمى وغيرها)، وغياب لعب أدوار الكبار، أو يكون اللعب التخيلي قاصراً ومتكرراً بصورة آلية مثل محاكاة شخصية تليفزيونية . كما أن هناك قلة ملحوظة للأنشطة والاهتمامات ومقاومة للتغيرات الطفيفة في البيئة من حوله، حيث يظهر الطفل تفاعلات مأساوية عندما يتغير مكانه حول مادة الطعام مثلاً، وغالباً ما يرتبط بموضوعات مثل خيط، أو قطعة مطاط .. والسلوك الحركي الآلي يشمل التصفيق باليدين . وحركات غريبة بهما، والهز والتأرجح، أو خبط الرأس والتمايل لكل الجسم، ويصر الأطفال الأكبر على إتباع الروتين (النظام) بطريقة صارمة مثل اتباع نفس الطريق إلى مكان ما .. وقد يوجد الإنبهار بالحركة مثل حركة مروحة، وقد يكون ماهراً في الدوران حول نفسه وحول الأشياء، وقد يهتم بالزراير وأجزاء جسم الإنسان أو اللعب بالماء .

وأما النمطية اللفظية Verbal Stereotyps فتشمل تكرار الكلمات أو الجُمَل دون اعتبار للمعنى؛ ولدى الأطفال الأكبر تكون الآلية اللفظية شاملة لذاكرة طويلة الأمد (مثل إعادة نفس كلمات أغنية سمعها قبل ذلك الوقت بسنوات، أو جداول القطارات أو مناسبات تاريخية، أو معادلات كيميائية) حيث أن هذه المعلومات تتكرر مرات عديدة دون اعتبار للموقف الاجتماعي ومناسبة ذكرها من عدمه .

ولا يختلف ما يذكره محمود حمودة (١٩٩١ : ١٠٣) في معرض تشخيص اضطراب الذاتوية " اعاقاة التوحد " عن الذي يذهب إليه غالبية الباحثين في هذا الصدد، ومن ثم يرى أن هذا الاضطراب يمكن تشخيصه إذا توافرت ثمان من المواصفات الست عشرة التالية على أن تشمل على الأقل اثنتان من المجموعة (أ) وواحدة من المجموعة (ب) وواحدة من المجموعة (ج) .

(أ) وجود إعاقة كيفية فى التفاعل الاجتماعى المتبادل كما يظهر فى واحدة مما يلى :

- ١- نقص ملحوظ فى الوعى بوجود أو مشاعر الآخرين (يعامل الناس كأشياء ويلاحظ كربهم أو همومهم) .
- ٢- لا يبحث عن الراحة وقت التعب، أو يطلبها بطريقة شاذة (مثل عدم سعيه للراحة عندما يكون مريضاً أو مصاباً أو مجهداً، يطلب الراحة بطريقة آلية مثل قوله : جنبه، جنبه، جنبه، عندما يكون مصاباً) .
- ٣- لا يحاكي الآخرين (لا يقلدهم) أو يحاكيهم بصورة مضطربة (مثل : لا يلوح مودعاً - Bye Bye، أو التقليد الآلى للآخرين دون علاقة بالموقف) .
- ٤- لا يشارك فى اللعب الاجتماعى أو يكون شاذاً، ويفضل اللعب الفردى، وإذا شارك الأطفال الآخرين فإنه يعاملهم كآلات .
- ٥- خلل بارز فى قدرته على عمل صداقات مع الرفاق .

(ب) خلل كیفى فى التواصل اللفظى وغير اللفظى وفى النشاط التخيلى كما يظهر فيما يلى :

- ١- لا توجد وسيلة تواصل مثل محاولات التواصل اللفظى أو التعبير الوجهى أو الإيماء، أو التواصل الحركى .
- ٢- التواصل اللافظى غير الطبيعى الملحوظ، كما فى استخدام الحملقة بالعينين والتعبير الوجهى والوضع الجسدى أو الإيماءات لبدء تفاعل اجتماعى (مثل : عدم الابتسام أو النظر للآخرين عندما يقترب منه اجتماعياً، لا يجلس (لا يحترم) والديه أو الزوار وله حملقة ثابتة فى المواقف الاجتماعية) .
- ٣- غياب النشاط التخيلى مثل لعب أدوار الكبار والشخصيات الخيالية أو الحيوانات ونقص الاهتمام بالروايات الخيالية .
- ٤- شذوذات ملحوظة فى طريقة الكلام شاملاً ارتفاع الصوت ونغمته والضغط على المقاطع والمعدل والإيقاع (مثل : الكلام بنبرة أو وتيرة واحدة أو بطريقة تشبه السؤال، أو بصوت مرتفع) .
- ٥- شذوذات ملحوظة فى شكل ومحتوى الكلام، وتشمل الكلام بصورة آلية متكررة (مثل التردد المباشر للكلام أو التكرار الآلى لإعلانات التلفزيون)، سوء استعمال الضمائر (مثل : قوله - أنت - عندما يود أن يقول - أنا) بالإضافة لإستخدام كلمات فى غير مواضعها أو جمل .

٦- خلل ملحوظ في قدرته على بدء محادثة مع آخر أو استمرارها برغم وجود ظروف مناسبة للحديث .

(ج) النقص الملحوظ في ذخيرة الأنشطة والاهتمامات كما يلاحظ بواسطة

ما يلي :

- ١- الحركات الآلية للجسم (مثل : النقر باليد أو لف اليد في حركة دائرية أو الدوران حول النفس أو أرجحة الرأس) .
- ٢- الإتشغال الدائم بأجزاء الأشياء (مثل شم الأشياء) أو الارتباط بموضوع غير معتاد (شيئ) (مثل الإصرار على حمل قطعة من الخيط طول الوقت) .
- ٣- الكرب الشديد عند حدوث تغيير في البيئة مهما كان طفيفاً، مثل تحريك فارة من مكانها المعتاد إلى آخر .
- ٤- الإصرار غير المناسب على إتباع نفس الروتين بكل التفاصيل مثل الإصرار على أن يسلك نفس الطريق عند شراء شيئ ما .
- ٥- ضيق ملحوظ في الاهتمامات والإتشغال باهتمام واحد فقط .

(د) بداية الإضطراب خلال الرضاعة أو الطفولة، (وتحدد البداية إذا كانت بعد ثلاث سنوات أو قبلها) .

وفي عرضهما لأعراض ما أطلقا عليه اجترارية طفولية، أو إنطواء ذاتي طفولي Infantile autism ، يشير كل من (جابر عبد الحميد وعلاء كفاقي، ١٩٩١ : ١٧١٩) إلى أن هذا الإضطراب يتميز بما يأتي :

أ - نقص منتشر في الاستجابة للآخرين (عدم الاهتمام، الفشل في الاستجابة لمحاولات التدليل، نقص الانتباه إلى الآخرين والتقاء عينيه بعيونهم، اللامبالاة أو النفور من العاطفة والمودة) .

ب - تضرر عملية نمو التواصل الذي يتدرج من الغياب الكامل للغة كأداة اتصال إلى القواعد اللغوية الفجة والبيخانية Echolalia وعكس ضميري " أنا " و " أنت " في الاستخدام وعدم القدرة على تسمية الأشياء واللغة الاستعمارية الخاصة .

ج - سلوك شاذ مثل المقاومة حتى لأي قدر قليل من التغيير والتعلق الشديد بأشياء معينة (مثل قطعة من الدويارة أو سير من الجلد) والأعمال الطقوسية مثل التصفيق بالأيدي أو الحملقة في الأشياء الاسطوانية

والدوارة . ويميز معظم الباحثين بين هذه الحال والحال الفصامية .
وتسمى أيضاً هذه الحالة مرض " كانر " Kanner's Disease أو زملة
كانر Kanner's Syndrome .

وهناك من الباحثين من يرى أن تشخيص الذاتوية ' اعاقه التوحد ' كاضطراب نمائى يبدأ بالتعرف على أعراض الاضطراب (أو مظاهره) سواء ظهرت كلها أو بعضها، حسب كل حالة على إنفراد . ولذلك يشير بعض الباحثين إلى هذه الأعراض على النحو التالى : (على سبيل المثال : رمضان القذافى، ١٩٩٤ : ١٦٠ - ١٦٣) :

(أ) اضطراب الكلام أو عدم الكلام مطلقاً، وفى هذه الحالة يكون الأطفال عديمى الكلام، وإذا ما تكلموا، فإن كلامهم يبدو غريباً وغير مفهوم أحياناً . ولا يعمل الأطفال الاجتراريون عادة على محاكاة غيرهم أو تقليدهم فى الكلام، مثلما يفعل نظراؤهم من الأطفال الأسوياء .

(ب) ابتعاد الأطفال عن إقامة علاقات اجتماعية مع غيرهم، وعدم الرغبة فى صحبة الآخرين، أو تلقى الحب والعطف منهم . وأهم ما يلاحظ فى هذا الصدد هو عدم إستجابة الأطفال لانفعالات الوالدين أو مبادلتهم نفس المشاعر، وعدم الإستجابة لما يصل إليهم من مثيرات عن طريق غيرهم من البشر . ويظل الطفل معظم وقته ساكناً لا يطلب من أحد الاهتمام به، وإذا ما ابتسم فإنما يكون للأشياء دون الناس، كما أنه يرفض الملاطفة والملاعبة ويعمل على تجنبهما .

(ج) ظهور الطفل بمظهر الحزين دون أن يعنى ذلك، وبحيث يبدو كأنه غير قادر على إظهار أى من الانفعالات الأخرى بشكل مميز تبعاً لما يستدعيه الموقف .

(د) اضطراب النمو العقلى للطفل فى بعض المجالات مع ظهور تفوق ملحوظ أحياناً فى مجالات أخرى . ويبدو على بعض الأطفال أحياناً مهارات ميكانيكية عالية، حيث يتوصلون تلقائياً إلى معرفة طرق الإثارة، وتشغيل الأقفال، كما قد يجيدون عمليات حل وتركيب الأدوات والأجهزة بسرعة ومهارة فائقتين . وقد يبدى بعض الأطفال تفوقاً ومهارة موسيقية فى العزف وفى استخدام الأدوات الموسيقية .

(هـ) اظهار الطفل للسلوك النمطى المتصنف بالتكرار، وبخاصة فى اللعب ببعض الأدوات بطريقة معينة، أو تحريك الجسم بشكل معين، وبدون توقف دون شعور بالملل أو الإعياء . ونظراً إلى إتجاه الأطفال للعب

بالأشياء، فقد يستغرقون في تكرار عمل الأشياء نفسها بشكل متكرر دون كلل .

(و) كثرة الحركة، أو ميل الأطفال إلى الجمود وعدم الحركة، فقد نجد بعض هؤلاء الأطفال كثيры الحزكة ولا يميلون إلى السكون، بينما يبقى بعضهم الآخر في حالة عزلة عن العالم حسيًا وحركيًا .

(ز) عدم الاحساس الظاهر بالألم، وعدم تقدير هؤلاء الأطفال للمخاطر التي يتعرضون لها والتي يعيدون التعرض لها المرة تلو المرة، على الرغم من الأضرار التي قد تلحقهم أو الإيذاء الذي يصيبهم .

(ح) ظهور الأطفال بمظهر الاختلاف عن الأطفال الآخرين مع سرعة الإنفعال، في حالة تدخل أحد في شؤونهم، وشدة غضبهم الذي يظهر فجأة . وتبدو هذه الصورة بوضوح في حالات الأطفال الذين لم يتعدوا خمس سنوات من عمرهم على وجه الخصوص .

(ط) الميل إلى الاستجابة بشكل غير طبيعي، لبعض المثيرات، بحيث يبدو الطفل وكأنه مصاب بالصمم أحيانًا، بينما قد يعمل على الاستجابة لبعض الأصوات بشيء من المغالاة، أحيانًا أخرى . ويبدو واضحًا أن هؤلاء الأطفال يكرهون سماع بعض الأصوات في نفس الوقت الذي لا يستجيبون فيه لغيرها من الأصوات .

وترى " كريستين مايلز " (١٩٩٤ : ١٨٥ - ١٨٦) أن الطفل المصاب بـ " التوحد " يمكن التعرف عليه لأنه تبدو عليه كثير من السمات التالية :

١- لا يطور علاقات شخصية . ولا يستجيب الطفل الرضيع للحمل والاحتضان . ويتجنب الطفل الأكبر سنًا في العادة النظر في وجه إنسان آخر، ويمتنع بشكل خاص عن إقامة الإتصال بالعين . وعندما يمسك للطفل التوحدي بإنسان آخر فكانه يمسك بقطعة أثاث وليس بإنسان .

٢- لا يبدو عليه أنه يعرف بوجود هوية شخصية أو ذات خاصة به . وكثيرًا ما يحاول هؤلاء الأطفال استكشاف أجسادهم والإمساك بها، كما لو كانت أشياء جامدة، وإلى درجة إيذاء أنفسهم، وإذا تمكن هذا الطفل " التوحدي " من الكلام فإنه قد لا يدرك الفارق بين " أنا " و " أنت " و " هي " . إلخ .

٣- التعلق الاستحواذي " المأخوذ " بأشياء معينة . فقد يسعى الطفل إلى الإمساك بشيء واحد دوماً " كقطعة قماش أو كوب .. " ويشعر بالحزن الشديد إذا أخذ هذا الشيء منه .

- ٤- يصبح شديد الحزن إذا تغيرت البيئة المحيطة به بأى طريقة كانت. مثلا :
إذا نقل الأثاث من مواقعه المعتادة، أو إذا افتقد شيئا مألوفاً لديه . وقد
ينزع الطفل إذا جرى خرق الروتين، ولم يحافظ عليه بصرامة . وكثيراً
ما تتطور عنده طقوس معينة كأن يطوى ملبسه بطريقة معينة، وأن
يصر على جلوس الناس فى أماكن معينة لتناول الطعام، وأن يغتسل
بطريقة معينة، وقد يرفض الطفل أكل طعام غير مألوف لديه .
- ٥- يُظهر حزنه بنوبات غضب عنيفة أو بعض نفسه أو بحركات معينة،
كالهز إلى الأمام والوراء، أو القفز صعوداً وهبوطاً، أو الركض فى
أرجاء الغرفة على أطراف أصابعه . وكثيراً ما لا يستطيع أحد معرفة
سبب حزن الطفل أو استيائه . وقد لا تجدى كل محاولات إراحة الطفل
مما يعانيه .
- ٦- شذوذ الإدراك، فكثيراً ما يستجيب الأطفال " التوحديون " بطرق غريبة .
وقد يبدون عاجزين عن سماع الأصوات العالية ولكنهم يستجيبون
للأصوات المنخفضة التى لا يسمعونها الآخرون إلا بصعوبة . وقد يحب
الطفل إمساك وتفحص أجسام دقيقة، كحبات الرمل أو بذور الأعشاب .
ويبدو وكأنه لا يشعر بشئى قد يسبب له الألم .
- ٧- عدم امتلاك ناصية اللغة، أو امتلاك القليل منها فقط . ويمكن للطفل الذى
يملك بعض القدرة على الكلام، أن يكرر جملاً قد سمعها قبل زمن . وقد
يفتقر صوت الطفل إلى التعبير أو النغمة . وقد لا تفهم الضمائر
الشخصية مثل " أنا " و " أنت " و .. إلخ حين ينطقها . . ولا يفهم الطفل
الإيماءات ولا يستعملها فى العادة .
- ٨- قد يكتسب الطفل أوضاع أو طرق غريبة عندما يتحرك وقد يفتل الطفل
خيطاً أو يلعب بطريقة محددة بأى شئى آخر .
- ٩- لا يلعب بطريقة تخيلية، فهو لا يستعمل اللعب لتمثيل الأشياء بطريقة عادية
(مثلاً : قد يستعمل الطفل الدمى أو السيارات كمواد بناء بدلاً من
استعمالها كـ " أطفال " أو كسيارات تسير على الطريق) .
- ١٠- على الرغم من كون بعض الأطفال " التوحديين " متخلفين عقلياً، فإن
لدى بعض الآخرين " جزراً " من القدرة على حساب الأعداد بسرعة
وبشكل صحيح . ويمكن للبعض الآخر، الذى لا يستطيع التكلم، أن يعبر
عن مشاعره بكتابة الشعر، أو أن يمتلك قدرة موسيقية خارقة، أو أن
يرسم بشكل عادى .

ويرى عثمان لبيب فراج (١٩٩٥ : ٢) أنه لما كان للتعرف على الأعراض الحقيقية لهذه الإعاقة أهمية كبيرة في عمليات التشخيص السليم لها، ولما كانت بعض هذه الأعراض تتشابه مع أعراض بعض أنواع من الإعاقات الأخرى كالتخلف العقلي أو صعوبات و(إعاقات) التعلم، وربما أيضاً مع بعض أعراض الفصام الطفلي أو الاكتئاب، فإنه من الضروري الإمام بتفاصيل هذه الأعراض آخذين في الاعتبار ما يلي :

(أ) أنه ليس من الضروري أن تظهر جميع هذه الأعراض في كل حالة من الحالات التي تعاني من إعاقة " التوحد " بل قد يظهر بعضها في حالة معينة، ويظهر البعض الآخر في حالة أخرى .

(ب) أنه قد يتباين ظهور هذه الأعراض من حيث الشدة أو الاستمرارية أو السن الذي يبدأ فيه العَرَض في الظهور، فقد يبدأ ظهور أعراض " التوحد " في بعض الحالات في خلال الشهور الستة الأولى بعد الميلاد، ولكن الأغلب أن يكون ظهورها فيما بين العامين الثاني والثالث، أو خلال الشهور الثلاثين الأولى من عمر الطفل .

ويشير عثمان لبيب فراج (١٩٩٤ : ٥ - ٨) إلى ثمانية من أعراض الذاتية " إعاقة التوحد " لا تختلف كثيراً عما ذكره من سبقه من الباحثين، وهذه الأعراض يمكن الإشارة إليها على النحو التالي :

١- القصور الحسي : إذ يبدو الطفل الإجتراي كما لو أن حواسه قد أصبحت عاجزة عن نقل أي مثير خارجي إلى جهازه العصبي، فإذا مر شخص قريباً منه، وضحك أو سعل أمامه أو نادى عليه، فإنه يبدو كما لو كان لم يَر أو يسمع أو أنه قد أصابه الصمم أو كف البصر . وما إن تزداد معرفتنا بالطفل، فإننا ندرك بشكل واضح عدم قدرته على الإستجابة للمثيرات الخارجية . هذا وقد يؤدي الفشل في اكتساب اللغة وكافة وسائل الاتصال الأخرى إلى قصور في عمليات الإدراك الحسي وغيرها من العمليات العقلية الأخرى كالتخيل والتذكر ومعالجة المشكلات والاستيعاب وغيرها .

٢- العزلة العاطفية أو البرود الانفعالي : حيث لا يتجاوب الطفل مع أية محاولة لإبداء العطف أو الحب له . وكثيراً ما يشكو أبواه من عدم إكترائه أو عدم إستجابته لمحاولاتهما تدليله أو ضمه أو تقبيله أو مداعبته، بل وربما لا يجدان منه إهتماماً بحضورهما أو غيابهما عنه . وفي كثير من الحالات يبدو الطفل وكأنه لا يعرفهما أو يتعرف عليهما . وقد تمضي ساعات طويلة، وهو في وحدته، لا يهتم بالخروج من عزلته،

أو تواجد الآخرين معه . ومن النادر أن يبدي عاطفة نحو الآخرين، بل تنقصه في كلامه النغمة الانفعالية والقدرة التعبيرية .

وفي حين نجد أن الطفل السليم العادي يستطيع أن يتعرف على أمه ويميزها عن غيرها من الكبار، ويتهلل وجهه ويهز يديه ورجليه فرحاً عندما تقبل عليه أمه لحمله في مرحلة مبكرة من عمره قبل الشهر السادس، وقبل أن يتعلم الكلام، ويكتسب أي رصيد لغوي، وبينما نجده يبكي إذا تركته أمه أو نهزته لأي سبب من الأسباب، أو بمعنى آخر فإننا نجد في حالة الطفل غير المعاق قدرة على الإتصال والتعبير والتفهم العاطفي والانفعالي في سن مبكر قبل تعلم الكلام، بينما نجد العكس في حالة الطفل الذي يعاني من إعاقة التوحد، حيث تغيب هذه القدرة على الإتصال، وعلى تبادل الأحاسيس والانفعالات وتفهمها والتعبير عنها . وبينما تلتقى عيني الطفل العادي مع عيني الأم ويتبادلان النظرات بدءاً من الطفولة المبكرة، فإننا نجد الطفل الذي يعاني التوحد لا يتبادل النظر مع أي من الكبار أو الصغار من حوله، ولا حتى مع أمه أو أبيه لجذب انتباهه أو متابعته أثناء الحديث . (عثمان فراج، ١٩٩٥ : ٤) .

٣- الإندماج الطويل في سلوك نمطي متكرر : فكثيراً ما يقوم الطفل الإجتراري لفترات طويلة بأداء حركات معينة، يستمر في أدائها بتكرار متصل لفترات طويلة . كهززة رجليه أو جسمه أو رأسه، أو الطرق بإحدى يديه على رصغ اليد الأخرى، أو تكرار إصدار نغمة أو صوت، أو مهمة بشكل متكرر . وقد يمضي الساعات محملاً في اتجاه معين، أو نحو مصدر الضوء، أو صوت قريب أو بعيد أو نحو بندول ساعة الحائط أو ساعة تدق، ولا تكون هذه الأفعال أو الأنماط السلوكية استجابة لمثير معين، بل هي في واقع الأمر استتارة ذاتية تبدأ أو تنتهي بشكل مفاجئ تلقائي، ثم يعود إلى وحدته المفرطة وانغلاقه التام على نفسه وعالمه الخيالي الخاص ورغبة قلقة متسلطة في البقاء طويلاً على حالته كما هي .

٤- نوبات الغضب أو إيذاء الذات : وبالرغم من أن الطفل الاجتراري قد يمضي ساعات طويلة مستغرقاً في أداء حركات نمطية أو منطوية على نفسه، لا يكاد يشعر بما يجري حوله، فإنه أحياناً ما يشور في سلوك

عدواني موجه نحو واحدٍ أو أكثر من أفراد أسرته أو أصدقاء الأسرة أو المتخصصين العاملين على رعايته أو تأهيله . ويتميز هذا السلوك العدواني بالبدائية كالعَض والخدش (الخريشة) والرَفَس . وقد تشكل عدوانيته إزعاجاً مستمراً لوالديه بالصراخ وعمل ضجة مستمرة أو عدم النوم ليلاً لفترات طويلة مع إصدار أصوات مزعجة أو فى شكل تدمير أدوات أو أثاث أو تمزيق الكتب أو الصحف أو الملابس أو بعثرة أشياء على الأرض أو إلقاء أدوات من النافذة أو سكب الطعام على الأرض إلى غير ذلك من أنماط السلوك التى تزعج الأبوين اللذين يقفان أمامها حائرين . وكثيراً ما يتجه العدوان نحو الذات حيث يقوم الطفل بعض نفسه، حتى يدمى نفسه، أو بضرب رأسه فى الحائط، أو بعض الأثاث بما يؤدى إلى إصابة الرأس بجروح أو كدمات أو أورام، أو قد يتكرر ضربه أو لطمه على وجهه بإحدى أو كلتا يديه .

٥- القصور اللغوى والعجز عن التواصل : فكثيراً ما يعتقد بعض الآباء أن الطفل يعانى من الصمم وبالتالي البكم^(١) Mutism ، بينما تثبت الملاحظة الطويلة أن الطفل، رغم أن الأصوات العالية قد لا تثير استجابة لديه، فإنه يمكن أن يسمع حفيف الريح أو ورق الجريدة أو أوراق الألومنيوم، التى تغلف قطعة الشيكولاته . وعلى هذا لا يكون عدم تجاوبه نتيجة صمم ولكن نتيجة عدم قدرته على تفهم الرموز اللغوية، وما هو مفروض أن تنقله إليه من معانى، وبالتالي - كما هو الحال فى معظم حالات الأطفال الإجترايين - لا يمكن أن يتقن الكلام للتعبير عن نفسه ورغباته بل يصدر أصواتاً ليست ذات معنى أو همهمة غير مفهومة . وحتى بالنسبة لمن يتعلم منهم، نجده نادراً ما يفهم ما يقول، وإذا قال شيئاً فإنه يكون إعادة أو صدى لما يوجه إليه من كلام، فإذا سألته ما إسمك ؟ فإنه يردد نفس السؤال ما إسمك ؟ بشكل ترجيعى Echolatic، وبنفس شدة الصوت والنعمة التى توجه بها السؤال إليه . وفى بعض الأحيان قد يتأخر الرد على السؤال أو يبدأ الطفل بتكرار العبارة أو السؤال بعد ساعات من سماعه، أو حتى بعد مرور يوم أو أكثر .

(١) الخرس، البكم Mutism : هو عدم القدرة على الكلام التى يُعزى إلى عيب جسمى، كما هو الحال فى الخرس الناتج عن الصمم أو بسبب التوقف فى نمو الأعضاء اللازمة والمشاركة فى عملية الكلام (لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى جابر عبد الحميد وعلاء كفاى، ١٩٩٢، الجزء الخامس، ص ٢٣٠٧) .

وقد يقتصر كلامه على استخدام بضع كلمات ولا يستخدم الكلمة أو الجملة الصحيحة في مكانها المناسب وغالباً ما يفشل في تركيب جمل ذات معنى أو استخدام الكلمة في المكان المناسب . كما يعاني من عجز في الربط بين المعنى والشكل والمضمون والاستخدام الصحيح للكلمة ومع هذا القصور اللغوي فإنه يبدو أن لبعض هؤلاء الأطفال ذاكرة قوية (عثمان فراج، ١٩٩٥ : ٥)، حيث لوحظ أن بعضاً منهم يردد جملة أو كلمة أو لحناً موسيقياً مما يسمعه أثناء مشاهدته للتلفزيون في فترة سابقة مستعملاً نفس الألفاظ بشكل حرفي، وعدم قبول أية مرادفات أو مختلف دلالات نفس المعنى أو العبارة . وكثيراً ما يلاحظ أن الطفل الاجتراري يستخدم الضمانر مقلوبة أو معكوسة كالإشارة إلى نفسه بضمير " أنت " وللشخص الذي يخاطبه بضمير " أنا " وكثيراً ما يتفوه بالألفاظ لا معنى لها أو بلهاء Utterances ، وهو كثير الحدوث ممثلاً في الحقيقة تحولات خاصة ومجازية داخل النفس . وقد يعمم الطفل وصفاً لشيء معين، فيصف مثلاً أي كتاب يراه على أنه " حكاية الشاطر حسن " أو أي زجاجة يراها على أنها " زجاجة بيبي كولا " لمجرد أنه في موقف سابق، كان قد سمع هذا الوصف أو ذلك مرة واحدة في الماضي لكتاب يحكى قصة الشاطر حسن أو زجاجة كان بها " بيبي كولا " .

٦- التفكير الاجتراري المنكب على الذات : يتميز الطفل الاجتراري Autistic child بالاجترار المستمر والذي تحكمه أهواء أو حاجات أو رغبات النفس . ويبعده هذا التفكير عن الواقعية التي تحكمها الظروف الاجتماعية المحيطة به، فهو يدرك العالم المحيط به في حدود الرغبات والحاجات الشخصية، فكل ما يشد إنتباهه هو الإنشغال المفرط برغباته وأفكاره وتخيلاته دون أي مبالاة أو إحساس بالآخرين والرفض لكل ما حوله؛ فهو يعيش فقط في عالمه الخاص في توحد وعجز عن الإتصال بالآخرين أو النجاح في إقامة علاقة معهم .

كما قد يمضي من الوقت ساعات وساعات غارقاً في ذاته غير شاعر ولا ملتفت إلى ما يجري حوله، لا يميز بين شخص وآخر، ويصر على أن يتترك وشأنه وحيداً وقد يثور ويتهور إذا حاول أحد تغيير هذا الوضع الذي قد يستمر لساعات طويلة فهو دائماً منغلِق على ذاته .

٧- قصور في السلوك التوافقي : وبالرغم من أننا لو أستعرضنا الأنماط السلوكية التي ذكرناها سابقاً - وقد تبدو في شكل غريب لو وضعت جنباً إلى جنب، إلا أن هناك ما هو الأغرب منها وهو قصور الطفل الإجتراري وعجزه في العديد من الأنماط السلوكية التي يستطيع أداؤها الأطفال العاديين ممن هم في نفس سنه، ومستواه الاجتماعي والاقتصادي. ففي سن الخمس، والعشر سنوات من عمره، قد لا يستطيع الطفل الإجتراري أداء أعمال يقوم بها طفل عمره الزمني سنتين أو أقل . وهو يعجز عن رعاية نفسه، أو حمايتها أو إطعام نفسه بل يحتاج لمن يطعمه أو يقوم بخلع أو إرتداء ملابسه . وقد لا يهتم عند إعطائه لعبة أن يلعب بها، بل يسارع بوضعها في فمه، أو الطرق المستمر عليها بيده، أو أصابعه، وهو في نفس الوقت يعجز عن تفهم أو تقدير الأخطار التي قد يتعرض لها .

٨- الأفعال القسرية والطقوس النمطية : غالباً ما يغضب أو يثور الطفل الإجتراري عند إحداث أي تغيير في سلوكه الروتيني اليومي، أو في المحيط الذي يعيش فيه . فمجرد تغيير الكوب الذي اعتاد شرب اللبن فيه أو تغيير ترتيب قطع الأثاث قد يدفعه إلى البكاء أو إندلاع ثورة غضب، حتى أسلوب مقابلته أو تحيته لا يحتمل تغييرها سواء بالشكل، بالزيادة أو النقصان، وقد يعاني نتيجة أي تغيير في أنماط حياته من نوساس عنيف أو قلق مزعج .
وكثيراً ما يندمج الطفل في سلوك نمطي، كما لو كان طقوساً مفروضة عليه كأن يحرك ذراعه بشكل معين يستمر عليه لفترات طويلة أو يطرق بيده على رأسه، أو أي جزء من جسمه أو يلف بجزعه أو بنصف جسمه الأعلى بشكل دائري، أو يدور حول نفسه أو حول طاولة أو مائدة في الغرفة، أو يجلس محملاً في مروحة هواء تدور، ويظل دقائق أو ربما ساعات على مثل هذه الأوضاع أو غير ذلك من الأفعال القسرية والتي لا يحتمل إزعاجه أثناء قيامه بها .

وينقل عمر خليل (١٩٩٤ : ٦٤) عن " وولف " (Wolf, 1988 : 576) أن الأطفال المصابين بالاضطراب التوحدي (الاجتراريين) يعانون من :
أولاً : عطب واضح في الإتصال التفاعلي بالآخرين .

ثانياً : صلب واضح في الإرتقاء للغوى، وغالباً ما يردد الطفل الإجتزاري للكلمات، ويعانى غالباً من عدم القدرة على استخدام الضمائر كأن يلقب الآخر بـ "أنا" ويلقب نفسه بـ "أنت" بالإضافة إلى عدم القدرة على التخيل وتقليد الآخرين .

ثالثاً : ممارسة أنماط سلوكية نمطية .

وحدد " رويارز " (Roeyers, 1995 : 161 - 162) كيفية تشخيص أعراض مرض الذاتوية " اعاقة للتوحد " على النحو التالي :

١- يبدأ قبل ثلاثين شهراً من عمر الطفل .

٢- افتقار الإستجابة للآخرين .

٣- صعوبات في النمو اللغوى .

٤- مقاومة التغيير .

٥- الإصرار على الروتين .

٦- الهلوسة أثناء النوم .

٧- قصور في التواصل اللفظى وغير اللفظى .

٨- ضعف في القدرة العقلية .

٩- صعوبات في فهم الانفعالات .

١٠- ترديد الكلمات .

ويضع شعلان (مرجع سابق: ١١٦ - ١١٩) أساساً لأعراض الذاتوية " اعاقة التوحد " يحدده في أن الطفل - يبدئ ذى بدء - لا يستطيع تكوين علاقات ذات معنى مع الآخرين على غير حالات الفصام، حيث يكون الطفل قد كون علاقاته ثم انتكس . وهي أعراض وإن كانت تبدو جزءاً من طبيعة الطفل، في شهره الأولى ، إلا أنها مبالغ فيها، وهي على أية حال لا تشد الاهتمام إلا حينما يبدأ الطفل في النمو، ويتضح الفرق بينه وبين الأطفال الآخرين، بل على العكس، فإن ظهور هذه الأعراض في الشهور الأولى قد يأخذ صورة الهدوء المبالغ فيه فتبدو على الطفل الطمانينة حينما يترك وحده كما أنه لا يخاف الغرباء وإن كان لا يصادقهم .

وتزداد الأعراض وضوحاً بعد العام الأول، فالمفروض أن يبدأ الطفل في تعلم الكلام في هذه السن، إلا أن الطفل الإجتزاري (الذاتوى) يتغلق على نفسه. ولا تظهر لديه حاجة إلى الإتصال بالآخرين، فيصبح استخدامه للغة

بالتالى غير ضرورى، ومن ثم فإنه يتأخر فى استخدام اللغة وذلك إذا تعلمها . فكثرأ ما تجد فيها مظاهر الاضطراب، كأن يكرر الطفل كلمات أو جمل، أو قد يردد ما يقال له (المصاداة) أو يكرر الكلمة النهائية فى كل جملة . وقد يخلط بين معانى الكلمات، ويخطئ فى تسمية الأشياء رغم أنه قد يتعرف على الأشياء ذاتها . ومع هذا فقد يجيد التعبير بوسائل أخرى غير منتظمة مثل الموسيقى والرسم .

وإذا كان الكلام يمثل جانباً من وسائل الإتصال بالآخرين فإن السمع يمثل جانباً آخر . وهنا أيضاً قد نجد مظاهر الإضطراب فى انغلاق الطفل على ذاته بدرجة قد تجعله يبدو كما لو كان لا يسمع الآخرين، وتبدو استجابته للأصوات الأخرى غير الكلامية أفضل .

وينطبق هذا على وسائل الإدراك الأخرى مثل النظر واللمس والتذوق، فهو يميل إلى الخلط بين الشكل والأرضية، ويكاد يوزع نظره على الأشياء دون تركيز، فقد يرى أشياء على أطراف مجاله النظرى، وقد لا يستطيع التفرقة بين درجات الحرارة أو طعم الأشياء، وقد يجد صعوبة فى التوفيق بين الحركة والصوت (الرقص مثلاً) .

وعلى مستوى السلوك الحركى، نجد لدى الأطفال الإجترايين، بعض الحركات الغريبة مثل لى الأصابع والأذرع، وكذلك الإهتزاز، وخبط الرأس، ولكن الغالب هو الحركات التى بواسطتها يبدو أن الطفل يسعى للتلامس مع بيئته والتعرف عليها، فهو لا يحس الأشياء والأشخاص إلا إذا تعامل معها جسدياً، وحركها، ورتبها، وكذلك لا يطبق التجديد والتغيير .

فى مجال المزاج، فإن البرود العاطفى هو العنصر المميز، ولكننا قد نجد انفعالات مبالغاً فيها ولا تتفق مع الموقف، فقد يخاف الطفل الإجتراى لسبب تافه . ومع هذه الاضطرابات الإدراكية والحركية والمزاجية، فإن صورة الجسم لدى الطفل لا بد وأن تتأثر .

وكذلك سوف يتأثر النمو وفى هذه الحالة قد ينمو الطفل فى مجالات معينة، نستطيع أن نقول أنها الحالات التى يقل فيها العامل الإنسانى، إذ أن علاقته بالأشياء تكون أفضل من علاقته بالأشخاص .

ويمكن وصف السلوك المرتبط بهذه الاضطرابات، بأنه سلوك ذاتوى، وهو الإفراط فى الإنطواء والأعزال والضعف فى العلاقات مع الآخرين .

ومن ناحية أخرى، نجد أن الدليل التشخيصي الإحصائي الثالث المعدل (DSM III-R) (١٩٨٧) يشير إلى محكات الذاتية "اعاقة التوحد" على النحو التالي :

أن تتطابق على الأقل ثمانية أعراض من مجموعات الأعراض الثلاثة التالية، على أن توزع كالاتى : اثنين على الأقل من المجموعة (أ) وواحد من المجموعة (ب) وواحد من المجموعة (ج)، وهذه المجموعات الثلاث هي كالاتى :-

المجموعة (أ) عطب واضح فى التفاعل الاجتماعى يظهر فى :

- ١- عجز واضح فى مستوى الوعى بوجود أو مشاعر الآخرين .
- ٢- بحث شاذ عن الراحة فى أوقات الإنعصاب .
- ٣- قصور فى التقليد .
- ٤- عدم وجود شذوذ فى اللعب الاجتماعى .
- ٥- قصور واضح فى القدرة على تكوين جماعات مرجعية أو أصدقاء .

المجموعة (ب) عطب واضح فى الإتصال التخيلى ويظهر فى :

- ١- عدم القدرة على الإتصال .
- ٢- شذوذ واضح فى الإتصال غير اللفظى .
- ٣- غياب النشاط التخيلى .
- ٤- شذوذ واضح فى الحصيلة اللغوية .
- ٥- شذوذ واضح فى شكل ومضمون الكلام (مثل ترديد الكلام) .
- ٦- قصور واضح فى القدرة المبادرة أو الإستمرار فى الحديث .

المجموعة (ج) محدودية الأنشطة والاهتمامات وتظهر فى :

- ١- حركات جسمية نمطية .
- ٢- الإصرار على تحريك أو اللعب بأجزاء الأشياء (مثل تحريك عجل السيارة فقط) .
- ٣- توتر وانعصاب واضح عند حدوث أى تغير تافه فى البيئة .
- ٤- إصرار غير منطقى على الروتين اليومى .
- ٥- محدودية واضحة فى الاهتمامات .

المجموعة (د) يظهر الاضطراب التوحدي (الاجتراري) خلال الطفولة المبكرة، أو الطفولة (خاصة بعد الشهر السادس والثلاثين من العمر، أو في حوالي السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل) .

والخلاصة من كل ما سبق وإضافة إليه، هو أن النظرة الحالية - عند تشخيص الاجترارية - هي تلك التي ترى أن العجز الأساسي (القاعدي) ربما يكون عجزاً في استخدام، وفي ترجمة الخبرات والتجارب الحسية، خصوصاً ما يتعلق بالعجز المتصل بحاسة السمع، وحاسة البصر، وأنه ربما يكون ذلك العجز ناشئاً عن عيب موجود في معالجة المخ The Brain's Processing للمعلومات الحسية . وهناك إقتراح إضافي مفاده أن الصعوبة التي تظهر بصفة خاصة عند البدء في ترجمة وتأويل الرموز التي يمكن أن تفسر الصعوبات اللغوية بالإضافة إلى السمات العديدة الأخرى . فعلى سبيل المثال، نجد أن القصور في العلاقات الإجتماعية ربما يكون ناشئاً في جزء منه غيبة الفهم والإدراك بالنسبة لمعنى الرموز غير اللفظية مثل التعبيرات الوجهية^(١) Facial Expressions ، والأفعال، والإيماءات .

كما أن لعب الأطفال الإجتراريين يكون يدوياً (تتاولياً)، ويفتقر إلى عنصر الإيهام^(٢) The make believe الذي يميز لعب الأطفال العاديين (الأسوياء)، مما يوضح اخفاق هؤلاء الأطفال في تنمية الوظيفة الرمزية

١. وجهي Facial expression

سط وجهي يدل على استجابة انفعالية أو اضطراب انفعالي . ولقد أجريت دراسات كثيرة عن معنى التعبيرات المختلفة، وعن التعرف على الانفعالات المختلفة من الصور التي التقطت في مواقف مثيرة . وتدل ملاحظات أخرى على أن الظروف الجسمية تؤدي أحياناً إلى تعبيرات أو خصائص وجهية معينة . مثل التعبيرات التي تشبه القناع والتي تجدها عند مرض باركنسون أو الشلل الرعاش، وقد وجد أيضاً أن الوجه يمكن أن يكون مرآة للاضطراب الانفعالي أيضاً، مثل النظرة المتألّمة المكروية والتي نجدها عند المكتئب والتعبير عن الترفع عند بعض مرضى البرانويا (جابر عبد الحميد، علاء الدين كفاي، ١٩٩٠، الجزء الثالث، ص ١٢٤٢) .

٢) لعب إيهامي The make-believe play

نشط من اللعب يسود في الطفولة - والمبكرة خصوصاً - حيث يسمح نشاط اللعب للطفل بالتعبير الحر عن انفعالاته، بما فيها من مشاعر سلبية وعدوانية مبكورة، فيسقطها على لعبه، وليس هناك ما يمنع من أن يعبر عن العدوانية والكرهية نحو هذه الألعاب بدون خوف من عقاب، أو بدون ممانعة من جانب الأنا الأعلى (جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفاي، ١٩٩٢، الجزء الخامس، ٢٠٤٧) .

Symbolic Function، تلك الوظيفة التي أوضحها " جان بياجيه " Jean Piaget على أنها تبرز وتظهر من خلال السلوك الحسي الحركي في العام الثاني من حياة الطفل .

وهذه النظرة للأطفال الاجتراريين، والتي تتضمن أنهم يتسمون سلوكياً بتسعة سمات مميزة يمكن التعرف عليها لإعطائنا نسقاً أكثر تكاملاً وأكثر معنى لهذه الزملة من الأعراض .

وعلى هذا النحو يمكن الخروج من المناقشة السابقة بأن العناصر الرئيسية للاجترارية هي : التجنب أو المبالغة في رد الفعل، للمثيرات السمعية والبصرية؛ والاهتمام الخاص بخبرات إدراكية معينة؛ ووجود اضطرابات وأنماط غريبة شاذة في الحديث واللغة . وأن هناك سلوك حركي غير عادي، ومقاومة للتغيير في البيئة، وتطرف في التعبير عن الانفعالات، وأيضاً في الحالة المزاجية؛ مما يمكن النظر إليه على أنه ردود أفعال تجاه العالم الذي لا يمكن فهمه أو إدراكه من قبل الأطفال الإجتريين . وقد أعد " وينج " Wing (1968) تقريراً للتعرف على زملة أعراض اضطراب الاجترارية . (لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى : Mittler, 1968) .

الفصل الثالث

الذاتوية بين التحديد والتربية

- الذاتوية : المحددات والعوامل

- الذاتوية : وعلاقتها ببعض اضطرابات الطفولة

- تربية الأطفال الذاتويين وتعليمهم

الفصل الثالث : الذاتوية بين التحديد والتربية

الذاتوية " إعاقة التوحد " : المحددات والعوامل .

تعتبر " الذاتوية " من أكثر الإعاقات العقلية صعوبة وشدة من حيث تأثيرها على سلوك الفرد الذي يعاني منها وقابليته للتعلم أو التنشئة الاجتماعية أو التدريب أو الإعداد المهني أو تحقيق أي قدر من القدرة على العمل، أو تحقيق درجة ولو بسيطة من الاستقلال الاجتماعي والاقتصادي أو القدرة على حماية الذات؛ إلا بدرجة محدودة، وبالنسبة لعدد محدود من الأطفال .

كما أن هناك صعوبات أخرى - سبقت الإشارة إليها بشيء من التفصيل - فيما يتعلق بالتشخيص أو التدخل لتعديل السلوك أو التأهيل الاجتماعي والمهني . ويرجع هذا في نظر العديد من الباحثين إلى أنه حتى الآن لم يحدث تعرف كامل، أو اتفاق عام على العوامل المسببة لهذا النوع من الإعاقة : هل هي وراثية جينية، أو بيئية اجتماعية، أو بيوكيميائية، أو هي نتيجة عوامل عدة مجتمعة ؟ أم أنها لا ترجع إلى تلك العوامل ولكنها نتيجة عوامل مسببة أخرى، لا يزال العلم يجهلها تماما .

ويتفق رمضان القذافي (١٩٩٤ : ١٦٣) مع ما ذهبنا إليه من أنه لم يتم بعد التوصل إلى تحديد العوامل المباشرة لحدوث الذاتوية " إعاقة التوحد "، ولذلك بقيت هذه العوامل غير معروفة إلا أن بعض الباحثين قد يرجع العوامل المؤدية إلى ظهور الأعراض إلى الاضطرابات العصبية كنتيجة للمشكلات المرتبطة بالتفاعلات الكيميائية الحيوية بالمخ، كما قد يرجعها البعض الأخر إلى أسباب بيئية، بينما ترى فئة ثالثة أن الأسباب تعود إلى العوامل المشتركة ما بين العصبية والبيئية .

ويرى أنصار العوامل البيئية أن الخبرات الأولى في حياة الطفل تؤثر على نموه في المراحل التالية، وأن الفشل في إقامة علاقات مع الطفل قد يكون أحد الأسباب القوية للاضطراب وبخاصة المشكلات الإنفعالية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالعلاقة ما بين الطفل ووالديه في مرحلة الطفولة المبكرة، مما يؤدي إلى انسحاب الأطفال من البيئة الاجتماعية، وعزلتهم داخل أسوارهم الذاتية المغلقة في وجوه الآخرين .

وهكذا يمكن القول أن الأطفال الإستراريين غالبا ما تكون بيئاتهم أقل تفاعلية، وأكثر جمودا وانسحابية، وغير اجتماعية، مما يجعل الطفل شديد

الانطوائية، مما يؤدي لصعوبة أو عدم قدرة أو عدم رغبة في التفاعل مع الآخرين، وكنتيجة لأن الإشارات التي يصدرها الطفل غالباً ما تكون غير مستتجة باستجابات، فإن ذلك يزيد من احتمالية أن يكون الطفل عُصابياً، كنتيجة للاحباط المستمر الذي يتعرض له، وكنتيجة لاختلاط الإشارات والاستجابات الصحيحة عليه (عمر خليل، ١٩٩٤: ٦٦) .

أما أنصار العوامل المشتركة، فيرجعون أسباب الاضطراب إلى النتاج المشترك للاستعدادات الطبيعية الجسمية منها والوراثية، بالإضافة إلى ما يحدث داخل محيط الأسرة مثل الصدمات والضغوط وعوامل الإحباط وغيرها . ويؤيد هذا الرأي ما نلاحظه من أن الأطفال المبتسرين^(١)، والذين تعسرت ولادتهم، والذين تعرضوا لمضاعفات أمراض الحصبة، والأمراض المعدية، والذين أشرف على تربيتهم أباء مضطربون نفسياً أو عقلياً يكونون عرضة أكثر من غيرهم للإصابة بالاضطرابات الإنفعالية .

وفي هذا الصدد يؤكد محمود حمودة (١٩٩١ : ١٠٦) على وجود اعتقاد بأن الحالات التي تسبب تلفاً للدماغ قبل الولادة أو أثناءها أو بعدها تهيئ لحدوث الاضطراب، ويضرب أمثلة لذلك من قبيل إصابة الأم بالحصبة الألمانية (الروبيلا) Rubella، والحالات التي لم تعالج من الفينيل كيتونورييا^(٢)، والتصلب الحدبي (الدرنسي)^(٣) Tuberus Sclerosis،

(١) نغال المبتسرون : هم الأطفال الذين يولدون قبل مرور شهور الحمل كاملة، وأخطر الوائيات كما هو معروف ما يتم قبل مرور سبعة أشهر، فقد يترتب على هذه الولادة اضطراب في نمو الطفل لواحد من الأسباب التالية :

(أ) أن هذا النوع من الأطفال يكونون موضع الرعاية والحماية الزائدة من الوالدين بحجة أن الولادة كانت مبكرة . وهذه الحماية قد يترتب عليها - بدورها - حجب الطفل عن كثير من الخبرات العقلية والاجتماعية، أو التدريب على مواجهة المشكلات المختلفة، كذلك قد ينمي ذلك لديهم نوعاً من الإتكالية التي تؤخر نموهم العقلي والاجتماعي .

(ب) قد لا يتحقق لمثل هؤلاء المواليد درجة كافية من نضج المخ، ولذلك قد يولد عدد كبير منهم ونسبة ذكائه أقل من المعتاد، بسبب عدم إكتمال انقسام خلايا المخ أو بسبب عدم اكتمال حجم هذه الخلايا (عماد اسماعيل ومحمد غالي، ١٩٨١ : ٢٣٢ - ٢٣٣) .

(٢) فينيل كيتونورييا Phenylketonuria

مرض أبيض موروث ينتقل كسمة متنحية، وتتميز بنقص في الأنزيم (الخميرة) المتطلب للاستفادة من الحمض الأميني فينيل ألانين Phenylalanine وإذا لم يعالج المرض وقت مبكر بنظام غذائي دقيق يتضمن جرعات مقلنة من الفينيل ألانين، فإن هذا

والاختناق أثناء الولادة، والتهاب الدماغ، وتشنجات الرضع (^١) Infantile Spasms .

كما أكدت الدراسات من ناحية ثانية أن مضاعفات قبل الولادة أكثر لدى الأطفال الإجتزازيين من غيرهم من الأسوياء أو حتى المصابين باضطرابات أخرى، كما أن ملاحظة أوجه شذوذ أخرى خلقية طفيفة عضوية لدى الاجتزازيين أكثر من أشقائهم، ومن أقرانهم الأسوياء يشير إلى مضاعفات هامة قد حدثت للحمل في الشهور الثلاثة الأولى - وقد رصدت الدراسات أن نسبة تتراوح بين ٤ - ٣٢ ٪ من الأطفال الاجتزازيين سوف يحدث لهم نوبات صرعية كبرى في وقت ما من حياتهم، وأن حوالي (٢٠ - ٢٥ ٪) من الأطفال الإجتزازيين يظهرون إتساعاً في البطينات الدماغية في تصوير الدماغ المقطعي باستخدام الكومبيوتر، ولوحظت شذوذات متفاوتة لتخطيط الدماغ الكهربائي في نسبة ١٠ - ٨٣ ٪ من الأطفال الإجتزازيين، ورغم أنه لا توجد شذوذات محددة للإجتزازية في رسم أو تخطيط الدماغ الكهربائي، فإن هناك برهان بدرجة ما على فشل سيطرة أحد جانبي كرة المخ على الآخر . Failure of Cerebral Lateralization

المرض يؤدي إلى تخلف عقلي شديد واضطرابات أخرى في الجهاز العصبي . ومعظم المرضى بهذا المرض الذين لم يعالجوا لديهم نسبة ذكاء أقل من ٢٠ . ويعرف المرض إختصاراً بالأحرف P.K.U (جابر عبد الحميد، علاء كفاقي، ١٩٩٣، الجزء السادس : ٢٧٦١) .

(^٢) التصلب الدرني Tuberos Sclerosis

اضطراب وراثي ينتقل كسمة صبغية سائدة، يتميز بوجود ورم غدي دهني Adenoma Sebaceum، والتخلف العقلي والتشنجات . وربما تشمل أوجه الشذوذ الأخرى الأورام المخية واضطرابات الرؤية والبقع البيضاء الكبيرة المتعددة على الجلد عند الميلاد، وكثير من المرضى لديهم ذكاء متوسط، ولكن نسبة الذكاء تميل إلى الانحدار مع التقدم في السن، وتسمى أيضاً Epiloia أو مرض بورنيفيل Bournville's disease (جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفاقي، ١٩٩٦، الجزء الثامن، ص ص ٤٠٣٧ - ٤٠٣٨) .

(^٣) تشنجات الرضع Infantile Spasms

مصطلح يعادل مصطلح " زملة ويست " West's Syndrome وهو اضطراب نيورولوجي تقدمي يؤثر في الأطفال الصغار، ويتسم بتشنجات وتأخر عقلي . وتتضمن التشنجات الرقبة والجذع والأطراف ويحدث إثناء في الساعدين وإيماءة الرأس، كما في حركة الإثناء . والمصطلح اسم ثالث هو Salaam convulsions . (جابر عبد الحميد، وعلاء كفاقي، المرجع السابق، ٤٢٠٦) .

ومما يلاحظ أنه على الرغم من معاناة الطفل الإجتراري من المشكلات التي تتعلق بالجانب العقلي من جوانب نموه والتي قد تحول بينه، وبين إقامة علاقات وروابط مع الآخرين، أو استخدام اللغة والرموز، أو ممارسة نشاطات اللعب الابتكارية، فإننا نجد لدى هذا الطفل، من جهة أخرى، بعض المهارات الإيجابية مثل سهولة استخدام اليدين في ممارسة الأعمال التي تتطلب حركات دقيقة أو تنسيقاً عصبياً مع العين واليد، بالإضافة إلى التمتع بذاكرة قوية، وخاصة في المواد التي تتطلب الحفظ والاستظهار .

وبينما يرى كثير من الأطباء الذين تابعوا دراسة حالات هذا الإضطراب أن السبب يعود إلى اضطراب عضوى يصيب بعض مراكز المخ، مما يؤدي إلى الإخلال بوظائف تلك المراكز، خاصة في مجالات الإدراك والتوافق الحركي، فقد أشار بعض الباحثين (روتر وآخرون، Rutter, M et al) إلى أن أكثر المصابين بهذا الإضطراب يصبحون متوسطى الذكاء أو عاديين في نسب ذكائهم عندما يصلون إلى سن الشباب . حيث يتخلصون من اضطرابات التفكير والاضطرابات الذهانية، وتحسن لغتهم، كما تعود إليهم إهتماماتهم بالعلاقات الإجتماعية ما عدا مشكلاتهم الإجتماعية التي تظل موجودة . غير أن هناك باحثين آخرين منهم (كلارك Clark, Matt) وغيره .. يرون أن اضطراب الذاتوية 'إعاقة التوحد' يرجع إلى أسباب عصبية وأن ٧٥ بالمائة من المصابين به يقعون متخلفين ويعانون منه طوال حياتهم (القذافي، مرجع سابق : ١٦٤) .

وبالإضافة إلى ذلك، هناك من يرجع هذا الإضطراب إلى الضعف في "الكروموزوم إكس" الهش Fragile x Chromosome^(١) ويرى أنه المسؤول عن حدوث هذا الخلل في الناحية العقلية ويؤدي إلى مرض الذاتوية "إعاقة التوحد"، ويظهر ذلك في ٥٪ إلى ١٦٪ من حالات الذاتوية "إعاقة التوحد" . وقد يفسر لنا ذلك إنتشار الذاتوية "إعاقة التوحد" لدى الذكور أكثر من الإناث . ثم أن هناك سبب آخر وهو التّحجر (التصلب) في بعض الخلايا

(١) عيب وراثي يؤثر في النسل من الذكور، يكون مصحوباً بتأخر عقلي ويطلق هذا اللفظ على الإضطراب بسبب قابلية الذراع الطويلة للكروموسوم x للكسر عندما يكون العيب موجوداً . وهذا الكروموسوم هو ثاني الأسباب شيوعاً بعد زملة "داون" للتأخر العقلي بين الذكور ويسمى أيضاً زملة الصبغ x الهش . Fragile x Syndrome (جابر عبد الحميد وعلاء كفاي، ١٩٩٠: الجزء الثالث، ص ١٣٢٨) .

الداخلية Sclerosis Tuberosa والتي تتحول إلى الجين المسيطر على الناحية العقلية، وربما يؤدي ذلك إلى حدوث ٥٪ من حالات الذاتوية " إعاقة التوحد " (Nelson & Israel; 1991; El Khattab, 1993) .

والبعض من الباحثين قد يرجع الذاتوية " إعاقة التوحد " إلى عوامل جينية Genetic فقد لوحظ أن حوالي ٢٪ من أشقاء الأطفال الإجترايين يصابون بالذاتوية " إعاقة التوحد "، بمعدل ٥٠ مرة أكثر من عامة الناس، وأن تطابق معدل حدوث الذاتوية " إعاقة التوحد " في التوائم المتماثلة هو ٣٥٪ بينما هو في التوائم غير المتماثلة يحدث بمعدل يساوي صفراً .

كما ينسب — من ناحية ثانية — الفضل إلى " أسبرجر " (١٩٤٤) Asperger في وضع التفسير السيكولوجي لمرض الذاتوية " إعاقة التوحد "، ولذلك سميت أعراضها، بزملة أسبرجر Asperger Syndrome، فقد أوضح أن الذاتوية " إعاقة التوحد " تتميز بزملة أعراض سلوكية . وفي دراسة لكل من " كانر " (أول من كتب عنها كما سبقت الإشارة) و " ايزنبرج " (١٩٥٦) Eisenberg and Kanner عن الآباء الباردين^(١) Refrigerator Parents أوضح فيها أن رفض الوالدين لسلوك الطفل في البداية يؤدي إلى إنسحاب الطفل وهروبه، حيث أكدوا أن الوالدين لا يرغبان في وجود هذا الطفل، في حين أكد " كولفين " (١٩٧١) Kolvin أن التوحد (الذاتوية " إعاقة التوحد ") يعتبر من الاضطرابات النفسية في الطفولة ولا يرتبط بالنواحي البيولوجية، ويحدث في الطفولة المبكرة منذ الميلاد وحتى سن عام أو عامين ونصف (إسماعيل بدر، ١٩٩٧: ٧٣٦ - ٧٣٧) .

وختاماً لهذه النقطة، هناك من يرى أن العلماء لا يزالون مختلفين في تحديد أسباب الأوتيزم (عبد المنان معمور، ١٩٩٧: ٤٣٨) غير أن هناك ثلاث وجهات نظر — ظهرت في السنوات الأخيرة — تبين هذه الأسباب وذلك على النحو التالي :

(١) الآباء الباردون هو التعبير الذي أطلقه " كانر " Kanner ليصف آباء الأطفال الإجترايين والذين يُعتقد (وعالماً ما يكون هذا اعتقاد خاطئ) أنهم باردين أنكيا، وغير مهتمين نسبياً بإثارة أبنائهم (جابر عبد الحميد وعلاء كفاي، ١٩٩٥، الجزء الخامس، ص ٣٢١٩) .

١- أسباب إجتماعية :

يرى فيها أصحاب وجهة النظر هذه أن الذاتوية " إعاقة التوحد " (التوحدية) ناتجة عن إحساس الطفل بالرفض من والديه، وعدم إحساسه بعاطفتهم، بالإضافة إلى وجود بعض المشكلات الأسرية، وهذا يؤدي إلى خوف الطفل وانسحابه من هذا الجو الأسري، وانطوائه على نفسه، وبالتالي تظهر عليه أعراض الأوتيزم، ومن الذين يتبنون هذه النظرة " بوتمان وسيوريك " (Bootman & Szurek, 1960) .

٢- أسباب نفسية :

يرى فيها أصحاب وجهة النظر هذه أن الذاتوية " إعاقة التوحد " (التوحدية) سببها الإصابة بمرض الفصام، الذي يصيب الأطفال في مرحلة الطفولة، وأنه مع زيادة العمر يتطور هذا المرض، لكي تظهر أعراضه كاملة في مرحلة المراهقة، ومن الذين يتبنون هذه النظرة " سينجر ووينمي " (Singer & Wynne, 1963) .

٣- أسباب إدراكية :

يرى فيها أصحاب وجهة النظر هذه أن الذاتوية " إعاقة التوحد " (التوحدية) سببها اضطراب إدراكي نمائي، حيث أشارت بعض الدراسات (على سبيل المثال : دراسة " آلن وآخرون، (Allen, et al., 1991) أن الأطفال الإجترايين لديهم انخفاض في نشاط القدرات العقلية المختلفة والتي ترجع بدورها إلى انخفاض قدرتهم على الإدراك بالإضافة إلى اضطراب اللغة .

- الذاتوية " إعاقة التوحد " وعلاقتها ببعض اضطرابات الطفولة :

إن معظم الباحثين المهتمين بتشخيص الذاتوية " إعاقة التوحد " يشيرون دائماً إلى قضية تشابه السلوك المرتبط بها، واضطرابات أخرى، ويهمننا في هذه النقطة أن تشير إلى العلاقة بين الذاتوية " إعاقة التوحد " وكل من الإعاقة العقلية وفصام الطفولة، واضطرابات التواصل، والاضطرابات السمعية - البصرية . وذلك على النحو التالي :

(أ) الذاتوية " إعاقة التوحد " في علاقتها بالإعاقة العقلية :

عندما اقترح " كانر " Kanner محكاته لتشخيص الذاتوية " إعاقة التوحد "، أشار إلى أن الأطفال الإجترايين لديهم قدرات معرفية جيدة، وعلى هذا الأساس استبعد أن يكون هؤلاء الأطفال من المعاقين عقلياً .

غير أن بعض الباحثين خالفوه في هذا الذي ذهب إليه ، حيث أشار كل من " رينغو " و " فريمان " إلى أن حوالي ٧٥٪ من الأطفال الإجترايين قدرتهم العقلية في حدود التخلف العقلي . ومع أن الأداء الوظيفي يشكل عام لدى الأطفال الإجترايين المعاقين عقليا ، والأطفال المعاقين عقليا هو أداء متشابه . إلا أنه - أي الأداء في الإعاقة العقلية - يكون منخفضاً ومتساوياً في جوانبه، ولكن الأطفال الإجترايين المعاقين عقليا، لا يكون أداءهم متساوياً إذ يلاحظ عليهم ارتفاع الأداء في المهام التي تتطلب ذاكرة قصيرة المدى، أو تلك التي تتطلب مهارة ما في الأداء الحركي، في حين يصلون إلى أقل أداء لهم في المهام اللفظية .

وربما يمكن القول أن الخلط بين أعراض الذنوية " إعاقة التوحد " ومظاهر الإعاقة العقلية، يرجع إلى حقيقة مؤداها أن بعض مظاهر الإعاقة تشبه بعض السلوكيات التي قد يظهرها الأطفال الإجترايين . وهنا يمكن الإشارة إلى عدد من النقاط التي ينفرد بها التوحد ويتميز بها - بالتالي - عن الإعاقة العقلية ، وذلك على النحو التالي :

(١) الأطفال المعاقون عقليا يكونون متعلقين بالآخرين، ولديهم - إلى حد ما - بعض الوعي الاجتماعي، في حين يختفى سلوك التعلق تماماً لدى الأطفال الإجترايين بالرغم من تمتعهم بمستوى ذكاء متوسط .

(٢) الأطفال الإجترايين لديهم القدرة على أداء المهام غير اللفظية، وخاصة ما يتعلق منها بالإدراك الحركي، والبصري، كما أنهم يتمتعون بمهارات التعامل - الآخرين، في حين لا يتمتع الأطفال المعاقين عقليا بمثل هذه القدرات أو المهارات .

(٣) يتباين الأطفال الإجترايون والأطفال المعاقون عقليا من حيث النمو اللغوي والقدرة على التواصل، وذلك من حيث مقدار ومدى استخدام اللغة في التواصل، فالمعاقين عقليا لديهم قدرة لغوية واستخداماتهم للغة تتناسب مع مستوى ذكاءهم، في حين أن الأطفال الإجترايين المعاقين عقليا قد ينعدم وجود اللغة لديهم وحتى لو وجدت فإن استخدامها يكون شاذاً .

(٤) الأطفال الإجترايون يعانون من عيوب جسمية بنسب أقل بكثير من تلك التي يعاني منها الأطفال المعاقين عقليا . وهذا يؤيد قول " كانر " من أن الأطفال الإجترايين أكثر جاذبية من الناحية الجسمية .

- (٥) الأطفال الاجتراريون قد يبدون بعض المهارات الخاصة، مثل التذكر، عزف الموسيقى، ممارسة بعض ألوان الفنون .. إلخ ، في حين لا يتمتع الأطفال المعاقون عقليا بأية مهارة من التي ذكرت .
- (٦) يتضمن سلوك الأطفال الاجتراريين بعض السلوكيات النمطية الشائعة مثل حركات الذراع واليد أمام العينين، وكذلك الحركات الكبيرة مثل التآرجح . في حين يختلف السلوك النمطي الذي يظهره الأطفال المعاقين عقليا عن نظيره لدى الاجتراريين (البليشة، ١٩٩٤ ، Rutter & Schopler, 1978 ، القريوتى وآخرون، ١٩٩٥ : ٣٧١ - ٣٧٢) .

ويلخص محمود حمودة (١٩٩١ : ١٠٥) علاقة الذاتوية " إعاقة التوحد " بالإعاقة العقلية في قوله أنه غالباً ما تتواجد الإعاقة العقلية مع الذاتوية " إعاقة التوحد " وترتبط بها، ولكن المعاقين عقلياً حتى في الدرجات الشديدة، لا تتوفر لديهم الملامح الكلينيكية للاضطرابات مشوهة النمو، فالمعاقين عقلياً إجتماعيين ويمكنهم التواصل حتى دون ألفاظ، إذا لم تكن لديهم القدرة على الكلام، حيث يكون السرور والاهتمام في الاقتراب الاجتماعى واضحاً خلال التواصل معهم بالعين وتعبيرات الوجه وحركات الجسم .

(ب) الذاتوية " إعاقة التوحد " في علاقتها بفصام الطفولة :

كانت البداية في التعرف على اضطراب الذاتوية " إعاقة التوحد " هي استخدام أعراضه كأحد الأعراض الرئيسية في اضطراب الفصام، الإنسحاب، أو الشعور بالوحدة النفسية، وعلى هذا الأساس كان افتراض حدوث خلط بين أعراض الاضطرابين أمرٌ وارد ولذلك لم يكن من المستغرب أن يرادف بعض الباحثين بين المصطلحين ويستخدمونهما بشكل تبادلي (بمعنى أن الاجتراري هو الشخص الفصامي والعكس) .

ويتعدد الدراسات في مجال الذاتوية " إعاقة التوحد "، أمكن الوقوف على أوجه التفريق بينهما . وهذه الفروق يمكن الإشارة إليها على النحو التالي :

١- الفصاميون قادرون على استخدام الرموز، في حين أن الاجتراريين ليس بإمكانهم ذلك .

٢- الأطفال الاجتراريون لا يستطيعون إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين، ويرفضون الاستجابة للأشخاص والبيئة، بينما الأطفال الفصاميون

بإمكانهم إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين، وعلاقتهم بصفة عامة مع البيئة قلقة ومشوشة .

٣- الأطفال (الأشخاص) الفصاميون يعانون - في الغالب من الهلوس والأوهام وفقدان ترابط الكلام، وهذه الأعراض لا يعاني منها الأطفال الاجتراريون .

٤- هناك اختلاف في بداية الإصابة بالاضطرابين، فعلى حين تبدأ أعراض الذاتوية " إعاقة التوحد " في الظهور قبل الشهر الثلاثين - كما سبق أن ذكرنا - فإن أعراض الفصام في المقابل من ذلك تظهر عادة في بداية المراهقة أو في عمر متأخر في الطفولة . ولأنه لا يمكن أن تحدث الذاتوية " إعاقة التوحد " قبل الشهر الثلاثين من عمر الطفل، فإن بداية الاضطراب هي أفضل عامل للتمييز بين الذاتوية " إعاقة التوحد " والفصام .

٥- فيما يتعلق بالفروق بين الجنسين في الإصابة بالاضطرابات، تشير نتائج الدراسات إلى أن نسبة الإصابة بين الذكور إلى الإناث في الذاتوية " إعاقة التوحد " هي تقريباً ٤ : ١ ، في حين يتساوى الذكور والإناث في نسب الإصابة بالفصام، فضلاً عن أن الجينات قد تفسر الفصام أكثر من تفسيرها الذاتوية " إعاقة التوحد " .

ويلخص محمود حمودة (١٩٩١ : ١٠٥) العلاقة بين الفصام والذاتوية " إعاقة التوحد " في أن الإصابة بالفصام نادرة ما تحدث في الطفولة، غير أن المصابين بالذاتوية " إعاقة التوحد " قد يكون لديهم عديد من الأعراض السالبة للمرحلة المتبقية من الفصام (مثل : العزلة الاجتماعية، والانسحاب، والسلوك مفرط الغرابة، والوجدان المتبدل غير المناسب وحرابة اللغة، والآلية المتكررة للأفعال) وفي حالة وجود دلالات تشخيص اضطراب الذاتوية " إعاقة التوحد " فإن تشخيص الفصام كمصاحب يجب أن يتم فقط في حالات نادرة، تتوفر فيها الضلالات والهلوس البارزة مع باقى الدلالات التي تشخص الفصام .

(ج) الذاتوية " إعاقة التوحد " في علاقتها باضطرابات التواصل :

يرى عديد من الباحثين أنه من الممكن أن تتوقع وجود تشابه بين الذاتوية " إعاقة التوحد " والاضطرابات اللغوية، ذلك أن اضطرابات اللغة والكلام والجوانب المعرفية هي مظاهر أساسية في تشخيص الذاتوية " إعاقة التوحد " .

ويسبب هذا التشابه، فإنه يتم الخلط أحياناً بين الذاتوية " إعاقة التوحد " وهذه الاضطرابات .

وقد أشارت الدراسات إلى أن هناك أوجه تشابه بين اضطرابات اللغة الاستقبالية واضطرابات اللغة التي يظهرها الأطفال الاجتراريون. كما أشارت نتائج الدراسات في هذا الصدد إلى أنه مع وجود تشابه بين الذاتوية " إعاقة التوحد " واضطرابات اللغة الاستقبالية إلا أنه من الممكن التمييز بين أعراض الاضطرابين .

وهذا التمييز يمكن التعرف عليه من خلال أن الأطفال ذوي الاضطرابات اللغوية الاستقبالية يحاولون التواصل مع الآخرين بالإيماءات، ويتعبيرات الوجه للتعويض عن مشكلة الكلام، بينما لا يظهر الأطفال الاجتراريين أية تعبيرات انفعالية مناسبة أو رسائل غير لفظية مصاحبة . قد تظهر المجموعتان اعادة الكلام وترديده، غير أن الأطفال الاجتراريين مميزين بترديدهم للكلام (المصاداة) وخاصة ترديد أواخر الكلمات أكثر . وفي حين يخلق الأطفال الاجتراريون في استخدام اللغة كوسيلة إتصال يكون بإمكان الأطفال المضطربين لغوياً أن يكتسبوا مفاهيم اللغة الأساسية والرموز غير المحكّية ويحاولون التواصل مع الآخرين .

وهكذا يمكن النظر إلى القدرة على التعلّم (أو القابلية للتعلّم) والقدرة على التعامل مع الرموز على أنها قدرات فارقة ومميزة بين الأطفال الاجتراريين والأطفال المضطربين لغوياً .

(د) الذاتوية " إعاقة التوحد " في علاقتها بالاضطرابات السمعية والبصرية :
من بين الأعراض أو السلوكيات الثانوية التي قد يظهرها الأطفال المعاقون سمعياً السلوك الإنسحابي ، والانزعاج من تغيير الروتين، أو بعض السلوكيات الأخرى المشابهة، وهم في هذا قد يشتركون مع بعض سلوكيات الأطفال الاجتراريين، مع فارق جوهري هو أن السلوك الانسحابي، والانزعاج من تغيير الروتين، وما إلى ذلك أعراض أولية وأساسية لدى الأطفال الاجتراريين .

وعلاوة على ذلك فإن الأطفال الإجترايين لا يعانون من الصمم فى الأغلب الأعم، وإذا ساور الطبيب المعالج الشك فى أن الطفل اجترارياً فإنه يتعين فحص سمعه للتأكد من إصابته بالصمم أم لا .

ومن ناحية أخرى ، قد يظهر الأطفال المعاقون بصرياً بعض السلوكيات الدالة على الاستثارة الذاتية والحركات النمطية وهم فى ذلك يشبهون ما يقوم به الأطفال الإجترايين ، فضلاً عن أن إستجابة الأطفال الإجترايين للمثيرات البصرية قد تشير إلى إصابتهم بالذاتوية " إعاقة التوحد " .

تربية الأطفال الذاتويين وتعليمهم :

يقدر بعض الباحثين المهتمين بدراسة ظاهرة الذاتوية " إعاقة التوحد " أنه من بين كل عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) طفل هناك طفلين أو أربعة أطفال يعانون من هذه الحالة المرضية . وهذا معناه أن هناك ما يقرب من ثلاثة آلاف طفل اجترارى فى أنحاء بلدنا (هذا العدد من الأطفال الاجترييين يصدق على المملكة المتحدة عام ١٩٧٣) ومع هذا، ليس هناك سياسة واضحة فيما يتعلق بتربية هؤلاء الأطفال الإجترايين .

وطبقاً لما يذكره كل من إيلجار؛ وينج Elgar and Wing (١٩٦٩) فإن هناك ما يقرب من نصف هؤلاء الأطفال يعالجون فى مستشفيات الأطفال دون العاديين Subnormality Hospitals ، وأما النصف الباقى فى المدارس الخاصة للأطفال دون العاديين كذلك، وأيضاً فى أنواع متباينة من المدارس الخاصة، وفى المدارس العادية والمدارس ذات المصروفات . وعلى أى الأحوال، هناك عدد من الوحدات الملحقة بالمستشفيات، أو تلك الوحدات التى أقيمت بجهود من السلطات التربوية المحلية، كما أن هناك الجمعية الوطنية للأطفال الإجترايين والتى تدير مدرستين خاصتين لهؤلاء الأطفال، وتأمل أن تبنى هذه الجمعية المزيد من المدارس لهذه الفئة من الأطفال .

إن الأطفال الإجترايين يفتقرون إلى الفهم الكامل لظروف اضطرابهم ويفتقرون أيضاً إلى وجود أساليب تربوية تلبى حاجاتهم، وهذا يجعل الباحثون يميلون إلى التشبث بعمل احتياطات خاصة عند الحديث عن تعليم وتربية الأطفال الإجترايين، وأيضاً، نجد بعضهم أحياناً يقترح إقتراحاً مفاده أن من المجدى بالنسبة لهؤلاء الأطفال أن يكون تعليمهم وتربيتهم فى مجموعات

مختلطة مع أطفال آخرين . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن أعراض
الذاتوية " إعاقة التوحد " - كما سبقت الإشارة إليها ووصفها - يشير إلى أن
البحث عن طرق وأساليب مركزة، وذات شكل معين تيسر للأطفال
الاجتراريين سبل التغلب على الصعوبات، هي المطلوبة وبقوة، أفضل من
وضعهم مع أطفال مماثلين لهم في مستوى التوظيف العقلي، والسعى نحو
مستويات أفضل .

وتهدف عملية تعليم وتربية الأطفال الاجتراريين إلى معاونة الطفل
الاجتراري على الاستفادة من بيئته، لأننا كما نعرف عنه، يظهر عجزاً في
ترجمة انطباعاته عنها، ولا يكون بمقدوره أن يتعرف عليها أو ينظمها وأحياناً
ما نجد أن الطفل الاجتراري يضطرب حين يمر بخبرة إدراكية اضطراباً
يصل به إلى الدرجة التي يتجنب بها هذه الخبرة وغيرها من الخبرات المماثلة
أو أن ينغلق على نفسه حتى لا يعرض نفسه لمزيد من الحيرة والارتباك،
ولهذا، فهو في حاجة إلى بيئة مستقرة ثابتة، لها روتين راسخ فهي أفضل
بالنسبة له من البيئة الحرة (الطليقة)، وعلى الرغم من أنه في ضوء القيود
والتحديدات التي سوف تفرض عليه، سيكون في حاجة إلى بعض التحرر
حتى يسلك ويتصرف بطريقته الخاصة، مع محاولة بذل الجهود من قبل
القائمين على تربيته غالباً في أن يوجهوا ويضبطوا ما قد تثيره هذه البيئة من
ردود أفعال قوية . وهناك عنصر واحد ثابت يتعين على المعلم الذي يقوم
بدوره في هذا الصدد أن يضعه في اعتباره وهو الحاجة إلى مقدار ضخم من
الانتباه الفردي لكي ينمي في الطفل الاجتراري الوعي بالذات^(١)، وأن ينمي
فيه القدرة على إقامة علاقات مع الآخرين .

ويشير العديد من الباحثين (من هؤلاء على سبيل المثال : كلارك
Clark، ١٩٦٥؛ فيرنو Furneaux، ١٩٦٩) إلى أن بعض المعلمين يؤكدون
على أهمية الملاحظة الدقيقة للطفل والتي تنسم بالاهتمام البالغ بالتفاصيل
لمحاولة الكشف عما إذا كان الطفل يستطيع أن يفعل، ما يفضله من خلال
القنوات الحسية، وما هو نوع الفهم المتعلق بالكلام، حتى مع عدم وجود لغة

(١) الوعي بالذات Self-awareness

بصر الفرد بالأسباب والعوامل التي تكمن وراء سلوكه، ومعرفة صفاته وخصائصه
التي تميزه عن غيره من الناس، وفهمه لنفسه بصفة عامة (جابر وكفافي، ١٩٩٥، ج ٧،
٣٤٣٧) .

متكاملة، وكلا من التأكيد على قيمة الأخذ ببعض الأنشطة المفضلة ومحاولة التوسع فيه وتتميته، سيكون من خلال تقديم مواد جديدة .

وهكذا يمكن تحويل لعب الطفل الاجتراري برباط الحذاء والذي يتميز بالوسواسية إلى استثارته لمحاولة عمل إنتظام يتكون من مجموعة من الخرز على إمتداد قطعة من الخيط، والطفل الاجتراري الذي يقضى أكثر الوقت يدفع أمامه بطريقة وسواسية بعض قوالب الطوب أو المكعبات على أرضية الحجره ربما يستثار ببديل آخر وليكن بعض الصور أو الحروف إضافة إلى المكعبات ... وهكذا .

والحقيقة القائلة أن المثيرات السمعية والبصرية، قد تكون أحيانا غير متقبلة من جانب الأطفال، ترى أن التجريب يكون باستخدام خبرات تعتمد على حاسة اللمس (لمسية) Tactile أو ذات علاقة بحاسة الشم (شمية) Olfactory . وغالبا ما تكون المواد الخام التي تزود الطفل بخبرات يدوية بسيطة أفضل من تلك الخبرات التي تعتمد على التمييز الإدراكي . ومن ناحية أخرى يقرر كل من " إيلجار " و " وينج " (1969) Elgar and Wing إمكانية استخدام المواد الخام التي استخدمتها " منتسوري " (1) شريطة أن يكون استخدام المعلم لها فقط مع طفل مرحلة الروضة . ومن خلال العمل سوف نعرف أنه يوجد قدرا كبيرا من التنوع في المواد الخام القابلة للإستخدام وكذلك الأنشطة التي يمكن أن تجذب اهتمام الطفل والتي منها على سبيل المثال لعبة آرة القدم التي من شأنها أن نحظى من خلالها بمشاركة الطفل . وقد قام كل من " إيلجار " و " وينج " بوصف برنامج يتضمن أنشطة متباينة - منها على سبيل المثال - السباحة، الطهي، وشغل الإبرة في صورته المبسطة، والموسيقى، والرقص والتي تصبح ممكنة أكثر كلما تحسن أداء الأطفال بشكل أكبر وهكذا .

(1) منتسوري، ماريا Montessori, Maria

طبيبة ومربية إيطالية (١٨٧٠ - ١٩٥٢) وأما طريق منتسوري Montessori method فهو نظام تربوي نمته وطورته " منتسوري " في إيطاليا في بداية القرن العشرين . وقد تأسست أول مدرسة أمريكية وفق هذا النظام في عام ١٩١٣ . ويقوم هذا النظام التربوي على الإهتمام بالتعليم والتربية الذاتية للأطفال ما قبل المدرسة من خلال تنمية المبادأة عندهم بوسائل عديدة منها إعطائهم حرية العمل والتدريب الحسي والإدراكي على أشياء مختلفة الأشكال والألوان وتنمية التأزر من خلال الألعاب والتمرينات . (جابر عبد الحميد وعلاء كفاقي، ١٩٩٢، ج ٥، ٢٢٤٩) .

وفيما يتعلق بالأهمية الخاصة للغة، فإن كثيراً من الأطفال الإجتريين لا يتعلمون الكلام أبداً، وبعضهم يكون بمقدوره تعلم الكلام في سن متأخرة جداً من سنوات مرحلة الطفولة . وعلى هذا فإنه بالنسبة لجميع الأطفال، يكون الهدف الأول - فيما يتعلق باضطرابات التواصل - هو فهم اللغة المنطوقة Spoken language ، وغالباً ما يفهم الأطفال الإجتريين اللغة والمواقف بشكل أفضل من اللغة المفهومة ضمناً ولهذا يمكن أن يزودنا تقدير الفهم اللفظي بنقطة بداية أخرى (في تعليم وتربية هؤلاء الأطفال)، مثل القصص، واتباع التعليمات، وكثيراً من الأنشطة العديدة الأخرى .

والسؤال الذي يطرح نفسه يمكن أن يصاغ على النحو التالي : ما مدى التقدم الذي يمكن أن يحرزه الأطفال الإجتريون ؟
لقد تصدى " روتر " (1967) Rutter للإجابة عن هذا السؤال، بأن تتبع (٦٤) أربعاً وستين طفلاً من الذين أتيح له مقابلتهم في مستشفى مودزلى Moudsley Hospital في الفترة ما بين عامي ١٩٥٠، ١٩٥٨، ووجد أن عدداً قليلاً منهم فقط هو الذي تمكن من تحقيق توافق إجتماعي جيد مع بلوغهم سن المراهقة (إثنان منهم التحقاً بوظيفة وخمسة آخرين عملوا في بعض أنواع من الأعمال التي تدر بعض المكاسب وحوالي نصف هذا العدد (٣٢) اثنان وثلاثون ظل يعاني من الإعاقة الشديدة، وظل عاجزاً عن الحياة الاستقلالية أو معتمداً على نفسه تماماً (وثالث هذا العدد استمر يتردد على المستشفيات في فترات إقامة طويلة) .

وعلى أية حال، لقد استطاع (٢٩) تسع وعشرون فقط من أفراد هذه العينة في تلقى نوع من التمدرس Schooling لمدة عامين على الأكثر، وكانت أعمار معظمهم تقل عن سن (١٠) عشر سنين، و(٩) تسع منهم أقل من سن خمس سنوات . وأنه لمن الواضح الآن تماماً أنه من المهم متابعة التقدم الذي يحرزه الأطفال الذين كان باستطاعتهم قضاء بضع سنوات في التعليم والتربية كما أنه من الأهمية بمكان تقييم الأشكال المختلفة لهذا التقدم، والأساليب التي استخدمت في هذا الصدد . وتشير النتائج التي خلص إليها " روتر " إلى أنه في حين يوجد تأثير لعوامل كثيرة على تقدم أفراد هذه الفئة في المستقبل من حيث نسب الذكاء، والاستجابة للاصوات واكتساب كلام له معنى يستفيد الطفل الاجتري من استخدامه، قيل أن يصل عمره إلى سن الخامسة، ووجود صور وأشكال أخرى من العجز الإضافي إلا أن مقدار ونمط التمدرس له تأثيره الذي يمكن مشاهدته .



شکل ۱

سلوك ذاتوي

إن أهم السمات المميزة للمصابين بالذاتوية هي الوجدانية (الميل إلى الوحدة) والإصرار على تكرار مواقف متشابهة وكذلك ميلهم إلى اتباع تصرفات رتيبة. وفي الوقت نفسه يستطيع بعض المصابين بالذاتوية أداء مهمات معقدة شريطة ألا يتطلب منهم هذا النشاط أن يحكموا على ما قد يدور في خلد الآخرين. وتؤدي هذه السمات إلى أشكال مميزة من السلوك، نصورها في المواقف الآتية:



يظهر الازدواج



يشير إلى احتياجاته باستخدام يد أحد الكبار



كلمات بيضاوية



يضحك ويهتف بطريقة غير مناسبة



لا يواجه بالنظر



يلعب علويا من دون تصنع



يفضل ممارسة الاعمال المتشابهة



إعادي الجانب في التفاعل مع الآخرين



يكبر الحديث المتواصل حول موضوع واحد



يتصرف بهلج عصبية



يتناول الأشياء باليمين أو يفتلها



ولكن هناك منهم من يقوم ببعض الاعمال بشكل سوي إذا كانت لا تتنافس تقاهما اجتماعيا

الذاتوية والتخلف العقلي

مدى العمر العقلي
(على اساس
حاصل الذكاء)

نسبة المصابين بالذاتوية

0-19



86%

من بين 44 طفلا

20-49



42%

من بين 96 طفلا

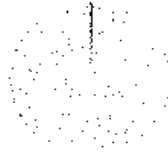
50-69



2%

من بين 700 طفل

70+



0.013%

من بين 34 100 طفل

شكل ٢



شکل ٤

الفصل الرابع

الذاتوية والأساليب العلاجية

- مقدمة

- الذاتوية والتحليل النفسي

- الذاتوية وتعديل السلوك

- الذاتوية والعلاج البيئي

- حالة تطبيقية لعلاج الذاتوية

الفصل الرابع: الذاتوية والأساليب العلاجية

مقدمة :

فى البداية يمكن الإشارة إلى أنه من الأمور المتفق عليها أن الأطفال الذين يعانون من الذاتوية " اعاقاة التوحد " هم أطفال معاقون بشكل واضح - إن صح استخدام هذا التعبير - فى مجال استقبال المعلومات أو توصيلها للآخرين، وهذه الإعاقة تفضى بهم إلى القيام ببعض أنماط السلوك غير المناسب للبيئة والوسط الاجتماعى المحيط بهم . ومن الطبيعى أن نتوقع أن يؤثر ذلك - وبشكل واضح - على قدرة الطفل على التعلم، وخاصة فى مجال التعامل بالرموز مما يعرقل نشاط العمليات الضرورية لفهم اللغة، واستخدامها بشكل جيد نظراً لوصولها عن طريق السمع مصحوباً باضطراب فى الإدراك الحركى والبصرى والسمعى .

وهناك من الباحثين (انظر على سبيل المثال : نيفين زيور، ١٩٨٨) من يرى أن العلاج النفسى للطفل الاجترارى ينبغى أن يبدأ أولاً باخراجه من قوقعته الذاتوية الذاتوية " اعاقاة التوحد "، وذلك باستخدام فنيات علاجية تتضمن استخدام أنشطة إيقاعية Rhythmic activities مثل الموسيقى، وكذلك استخدام أنشطة تستثير اللمسة، وذلك باستخدام الموضوعات الجامدة، وأنه ينبغى أن يكون الأمر واضحاً تماماً بأنه لا ينبغى فى مثل هذه الحالات أن يحدث إحتكاكاً جسدياً مع الطفل، ذلك أنه يصعب عليه تحمله . والمهم أيضاً أن ندرك أنه من الخطر أن ندفعه بسرعة نحو التواصل الاجتماعى، ذلك أنه منذ بداية حياته دون مستوى التعلق السمبىوزى، ولذلك فإن أقل قدر من الإحباط قد يدفعه إلى استجابة كنتاجونية أو إلى القيام بدفاعات ذهانية حادة .

وعلى هذا الأساس تسعى الأساليب العلاجية المتبعة مع هذه الفئة من الأطفال إلى تحقيق هدفين رئيسيين هما :

الأول : دفع الطفل إلى مزيد من النمو فى سياق محاولات تعديل سلوكه .

الثانى : معاونة الوالدين فى تعلم طرق للتواصل مع الطفل والإسهام فى علاجه خلال وجودهم معه بالمنزل .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الهدفين السابقين ينطلقان من وجهة نظر مؤداهما أن الطفل الاجترارى يعانى من مجموعة من المشكلات السلوكية

وأوجه القصور التي تجعل من الصعب عليه إن لم يكن من المستحيل أن يتعلم بدون تدخل من الآخرين وذلك بسبب عدم استجابته للمواقف الاجتماعية واضطراب سلوكه، وعلى ذلك، فإن هناك هدف أساسي من تعليمه وتدريبه هو تنمية مهاراته اللغوية كأداة للاتصال وكوسيلة لكسر حاجز العزلة، وإلى تنمية مهاراته الاجتماعية حتى يمكن إعادة الطفل إلى المجتمع وقيامه بالمشاركة في الأنشطة الحياتية اليومية التي تدور حوله .

وعلى الرغم من أن " التوحد " حالة نادرة جداً؛ فإن العديد من الأطفال الذين يصعب عليهم التكيف، يمتلكون بعضاً من مظاهر التوحد مع الخيال، ولا يستجيب الأطفال التوحديون عادةً بشكل طبيعي للإطراء والحنان، وغالباً ما يصعب العثور على شيء يمكن إعطاؤه لمثل هذا الطفل كمكافأة على سلوكه المقبول .

والمشكلة الكبرى بالنسبة للطفل التوحدي هي إقامة العلاقة مع الآخرين (ومع نفسه) ولهذا يجب أن يكون الهدف الأساسي للمعلم هو تطوير القدرة على إقامة هذه العلاقات . ويجب أن يكون المعلم على استعداد للكثير من الإتصال الجسدي مع الطفل حتى وإن بدا أن الطفل لا يريد ذلك . وقد يساعد على ذلك النشاطات البدنية مثل هز الطفل أثناء وجوده في حضن المعلم أو جالساً على الأرض .

ويكون للأطفال الذين يعانون من متلازمة " داون " (١) (داون سيندروم/ المنغولية) ودودين عادة، وقد ينجحون في إقامة العلاقة مع الطفل التوحدي

(١) زملة داون Down's Syndrome

اضطراب صبغى (كروموزومى) يتميز بوجود صبغى زائد (رقم ٢١)، وبعض الحالات يكون الصبغى الزائد - ٢٢ . ويفصح الاضطراب عن نفسه فيما يسمى الملامح المنغولية، ووجه مستدير مسطح وعيون تبدو مائلة أو منحدره، ويكون المخ أقل من المتوسط من حيث الحجم أو الوزن . وعادة ما يتصف المرضى بهذا الاضطراب بالتخلف الذى يتراوح من الدرجة المعتدلة إلى الدرجة الشديدة، ويتصف المرضى بالاستعدادات للمواقف وسلاسة القيادة . وتميل الحركات العضلية إلى أن تكون بطيئة وثقيلة وغير متأثرة . وفى حالات كثيرة يكون النمو متأخراً واللسان سميكاً والأصابع غليظة . ويسمى الاضطراب أيضاً المنغولية Mongolism ومرضى لانجدون - داون Down's lang - don disease والأكروميكاريا الخلقية Congenital acromicria (جابر عبد الحميد وعلاء كفاى، ١٩٩٠، ج ٣، ص ١٠١٩) .

عندما يفشل في ذلك المعلم والآخرين . ويستجيب بعض الأطفال التوحديين جيداً للحيوانات ويمكنهم أن يبدأوا تعلم إقامة العلاقة مع الآخرين من خلال السماح لهم بإقامة علاقة " صداقة " مع حيوان ما .

ويدعى بعض المعالجين نجاحاً عظيماً لعلاج " الإمساك بالطفل " أو حمله والذي يعنى الالتصاق بالطفل في عناق محبة حتى يسترخى ويستجيب بابتسامة أو بالتحاققه بالمعلم . ولكن هذا قد يحتاج إلى ساعات عديدة، وقد يكون منهكاً عاطفياً وجسدياً، ويجب أن يكون الإمساك بالطفل قوياً ومحبباً في الوقت نفسه، ولو حاول الطفل جاهداً الإفلات منه . ومن الأفضل أن تحاول الأم هذه الطريقة أولاً، وهي الطريقة التي يمكن أن تؤدي إلى تعلم الطفل إقامة علاقته الحميمة الأولى . وإذا لم تستطع الأم أن تفعل ذلك، أو أنها لم ترغب في ذلك؛ فبإمكان المعلم أن يحاول . ويجب على من يبادر بهذه الطريقة أن يكون قادراً على مواصلة العمل مع الطفل ما دام الأمر ضرورياً لو ربما لسنوات . لأن الطفل قد يتأذى من افتقار شخص تعلم أن يقيم معه ارتباطاً حميماً .

ويجب أن يُسمح للطفل التوحدي الذي يتمتع بمهارات خاصة أن يمارس هذه المهارات في المدرسة، ولو لبعض الوقت . وقد يعتقد المعلم أو المعلمة، أن تعلم الطفل إرتداء ثيابه، أو تعلمه الكلام، أهم من ممارسة الرسم والموسيقى، ولكن الطفل يرى فنه أكثر أهمية من أى شئ آخر . ويجب أن يتسع اليوم المدرسى لأولويات التلميذ والمعلم على حد سواء (كريستين مايلز، ١٩٩٤ : ١٨٧) .

وفي الفقرات التالية نشير إلى بعض الأساليب العلاجية المتبعة في علاج الذاتوية (إعاقة التوحد) :

(أ) استخدام التحليل النفسى في علاج الذاتوية (إعاقة التوحد) :

كان علاج الذاتوية " إعاقة التوحد " باستخدام جلسات التحليل النفسى هو الأسلوب السائد حتى السبعينيات من هذا القرن . وكان أحد الأهداف الأساسية للتحليل النفسى هو إقامة علاقة قوية مع نموذج يمثل الأم المتساهلة المحبة، وهي علاقة تنطلق من افتراض مؤداه أن أم الطفل الإجترارى لم تستطع تزويده بها، غير أن هناك تحفظ على هذا الافتراض هو أن هذه العلاقة تحتاج إلى عدة سنوات حتى تتطور خلال عملية العلاج التحليلي .

وعلى أية حال، هناك من يرى أن العلاج باستخدام التحليل النفسى يشتمل على مرحلتين (القريوتى وآخرون، ١٩٩٥: ٣٧٤ - ٣٧٥) فى الأولى: يقوم المعالج بتزويد الطفل بأكثر قدر ممكن من التدعيم وتقديم الإشباع وتجنب الإحباط، مع التفهم والثبات الانفعالى من قبل المعالج .
وفى الثانية : يركز المعالج النفسى على تطوير المهارات الاجتماعية، كما تتضمن هذه المرحلة التدريب على تأجيل وإرجاء الإشباع والإرضاء .
ومما يذكر أن معظم برامج المعالنين التحليليين مع الأطفال الاجتراريين كانت تأخذ شكل جلسات للطفل المضطرب الذى يجب أن يقيم فى المستشفى وتقديم بيئة بناءة وصحية من الناحية العقلية .

(ب) استخدام العلاج السلوكى (تعديل السلوك) فى علاج الذاتوية (اعاقة التوحد) :

يقترح بعض الباحثين والمهتمين بهذا الإضطراب استخدام الأساليب العلاجية السلوكية (طرائق تعديل السلوك) فى علاج الذاتوية " اعاقة التوحد " سواء تم ذلك فى البيت، وبواسطة الآباء أو فى فصول دراسية خاصة، لعدم استطاعة الأطفال الاجتراريين البقاء فى الفصول المدرسية العادية بسبب سلوكهم الفوضوى وقصورهم فى مجالات السلوك الذهنى والاجتماعى الأخرى، هذا بالإضافة إلى احتمال إقدام بعضهم على إيذاء نفسه بشكل ضار مثل ضرب رؤوسهم فى الحائط أو عض أيديهم بشكل قاس مع عدم استجابتهم للبيئة المحيطة " (القذافى، مرجع سابق، ١٦٥) .

وتقوم فكرة تعديل السلوك على مكافأة (إثابة) السلوك الجيد أو المطلوب بشكل منتظم مع تجاهل مظاهر السلوك الأخرى غير المناسبة تماماً، وذلك فى محاولة للسيطرة على السلوك الفوضوى لدى الطفل . وترجع أسباب اختيار (اقتراح) العلاج السلوكى للتخفيف من حدة الذاتوية " اعاقة التوحد " أو التخلص منها إلى عدة أسباب، يشير إليها القذافى (١٩٩٤: ١٦٦) على النحو التالى :

- (١) أنه أسلوب علاجى مبنى على مبادئ يمكن أن يتعلمها الناس من غير المتخصصين المهنيين، وأن يطبقوها بشكل سليم بعد تدريب وإعداد لا يستغرقان وقتاً طويلاً .
- (٢) أنه أسلوب يمكن قياس تأثيره بشكل عملى واضح دون عناء كبير، أو تأثر بالعوامل الشخصية التى غالباً ما تتدخل فى نتائج القياس .

- (٣) أنه نظراً لعدم وجود اتفاق على أسباب حدوث الاضطراب، فإن هذا الأسلوب لا يعير اهتماماً للأسباب، وإنما يهتم بالظاهرة ذاتها دون تعرض لإختلافات العلماء حول أصلها ونشأتها .
- (٤) أنه أسلوب يضمن نظام ثابت لإثابة ومكافأة السلوك الذى يهدف إلى تكوين وحدات إستجابية صغيرة متتالية ومتابعة تدريجياً عن طريق استخدام معززات قوية .
- (٥) أنه ثبت من الخبرات العملية السابقة نجاح هذا الأسلوب فى تعديل السلوك بشرط مقابلة جميع متطلباته وتوفير الدقة فى التطبيق .

وهناك - من ناحية ثانية - عدة خطوات يتعين الاهتمام بها وذلك لضمان نجاح برنامج العلاج أو التدريب أو التعليم، وهذه الخطوات يمكن الإشارة إليها على النحو التالى :

(١) تحديد الهدف : إذ لا بد من العمل على اختيار السلوك المرغوب فى تكوينه بشكل محدد وواضح، مثل الرغبة فى تعليم الطفل الابتسام لغيره، أو مشاركة الآخرين فى اللعب، أو نطق كلمة معينة، أو القيام بسلوك حركى معين، أما الأهداف العامة مثل التعاون أو النظافة أو السلوك الاجتماعى بشكل مطلق، فإنها تشكل مجالات واسعة يصعب قياسها مالم يتم تحديدها فى شكل وحدات سلوكية لا يمكن الاختلاف فى فهمها أو تطبيقها .

(٢) سهولة التعليمات ومناسبتها للطفل : إذ بعد أن يعمل المعالج السلوكى أو المعلم، أو المدرب أو ولى الأمر على جذب انتباه الطفل أولاً، فإن عليه (أو على أى واحد منهم) استخدام تعليمات سهلة يفهما الطفل، وذلك فى اللحظة المناسبة، مع عدم توجيه الحديث إليه فى حالة عدم انتباهه .

ويتم توجيه التعليمات بشكل سهل ولا يحتمل ازدواج المعنى . كما يجب ألا يكون مطولاً بحيث يؤدي إلى صعوبة المتابعة، والأمثلة التالية تعطينا مثلاً لما يجب أن يكون : إرفع يديك - إمسك القلم - أنظر لأعلى - إمس اللون الأحمر ... إلخ .

(٣) حدث الطفل على الاستجابة عن طريق الملاممة بين المطلوب تأديته، وبين خبرات الطفل الحاضرة، إذ قد لا يستجيب الطفل أحياناً، لأن الإجابة ليست حاضرة لديه .

(٤) مراعاة أن تتم عملية تشكيل السلوك عن طريق تقسيم الهدف إلى وحدات صغيرة متتالية مع استمرار إثابة ومكافأة الخطوات الصغيرة جميعها، إلى أن يتم تحقيق الهدف . فإذا كان الهدف هو حدث الطفل على نطق كلمة " باب" مثلاً، وأن الطفل قام بنطق الحرف " ب " في المرة الأولى، ثم نطق " يا " في المرة الثانية، فإنه تتم مكافأة الخطوتين السابقتين كل في حينها . أما إذا اتبع الطفل الخطوتين السابقتين بنطق الحرف " بي " فلا تتم مكافأة هذه الخطوة الأخيرة .

(٥) نوعية المكافأة : ويلاحظ أنه من الضروري أن تكون المكافأة ذات تأثير على الطفل، فإذا نجح الطفل في نطق كلمة " باب " كما هو مطلوب في الخطوة السابقة، فلا بد من مكافأة الطفل على ذلك . وليس من الضروري أن تكون المكافأة مادية في شكل أطعمة أو حلوى أو مشروبات، كما يحدث في بعض البرامج، وإنما بالإمكان تقديم مكافآت معنوية مثل تقبيل الطفل أو ضمه أو احتضانه، حيث تتجح المثيرات العضوية المتمثلة في التواصل الجسمي، والمثيرات الإنفعالية مثل إيداء السرور بالطفل وإشعاره بالحب والقرب منه في حدث الطفل على تكرار السلوك المرغوب بنفس القوة التي تحدثها المثيرات العادية .

وكما سبق أن ذكرنا، أنه ليس من الضروري أن يقتصر تقديم هذه البرامج على المعالجين السلوكيين أو معدلي السلوك فقط، وإنما يمكن تدريب الأباء والمدرسين والأخصائيين الاجتماعيين وغيرهم على استخدام هذه الأساليب العلاجية السلوكية بعد التدريب عليها، بشرط أن يكون الهدف واضحاً وهو إعادة مثل هؤلاء الأطفال إلى البيئة الاجتماعية بعد تدريبهم على أساليب السلوك الاجتماعي والإنفعالي بشكل خاص .

والخلاصة هي أن إجراءات تعديل السلوك تقوم على أسس موضوعية، وليس على انطباعات ذاتية، كما أنه أسلوب لا يضع اللوم على الوالدين، بل على العكس من ذلك، يشرك الوالدين في عملية العلاج النفسي . كذلك فإن

إجراءات تعديل السلوك تعتمد على مبادئ وقوانين التعلم التي يمكن أن يتكهنها المعلمون بسهولة، مقارنة بالأساليب العلاجية الأخرى .

(ج) استخدام العلاج البيئي^(١) في علاج الذاتوية (إعاقة التوحد) :
يتضمن استخدام العلاج البيئي في علاج الذاتوية " إعاقة التوحد " تقديم برامج للطفل تعتمد على الجانب الاجتماعي عن طريق التشجيع والتدريب على إقامة العلاقات الشخصية المتبادلة .

(د) مثال لأحد برامج تأهيل طفل إجتراري :
كما قدم أحد الباحثين مثالا واقعياً وتفصيلياً للأسلوب الذي اتبع في تأهيل طفل إجتراري، بأحد المراكز المتخصصة لعلاج هذا النوع من الإعاقات .

ويمكن في الفقرات التالية أن نُقدِّم مُلخِّصاً للمراحل التي مرت بها هذه الحالة ... مع النظر إليها باعتبارها - كإطار عام يمكن الاستعانة به في تأهيل حالات مماثلة لتلك الحالة، وذلك على النحو التالي^(٢) :

المرحلة الأولى : إلتقاء العيون وتبادل النظرات^(٣) :
والتدريب عليها عنصر أساسي في تأهيل الطفل الاجتراري " الذاتوي " الذي يتجنب إلتقاء العيون كعامل أساسي في العزلة التي يعيشها والإغلاق

(١) العلاج البيئي Environmental Therapy علاج طبي نفسي يقوم على أساس تعديل أو تناول ظروف حياة المريض أو بيئته المباشرة، كما يشير المصطلح إلى المفهوم الذي ينظر إلى المستشفى باعتبارها مجتمعاً علاجياً . وهذا الشكل من العلاج هو محاولة لتنظيم الوسط الاجتماعي والفيزيقي الذي يعيش فيه المريض أو الذي يتعامل فيه على نحو يساعد في الوصول إلى الشفاء . ويعتبر المصطلح مكافئاً لمصطلح علاج الوسط أو العلاج المحيطي .

(٢) للاطلاع على تفاصيل البرنامج يمكن الرجوع إلى (عثمان لبيب فراج، ١٩٩٥، إعاقة التوحد : دراسة حالة، النشرة الدورية (العدد ٤٣)، لاتحاد هيئات رعاية الفئات الخاصة والمعاقين، القاهرة : ص ص ٦ - ٢٣) .

(٣) إلتقاء البصر . إلتقاء العيون : Eye Contact
ويقصد به النظر إلى الشخص الذي يحدثنا أو يحاورنا . ويعتبر الحفاظ على إلتقاء العينين أمراً أساسياً في التواصل والتفاهم بين المعالج والمريض خلال المقابلات . وكثيراً ما يكون إلتقاء العينين خطوة مبدئية في علاج الطفل، ولتشجيع هذه العلاقة البصرية قد يمسك المعالج بقطعة من الحلوى قريبة من عينيه ويقدمها للطفل إذا نظر نحوه . وهذا التواصل البصري يستخدم كمتغير في بعض دراسات علم النفس الاجتماعي ليمثل درجة الدفء في العلاقة البيئية الشخصية أو درجة القرب بين شخصيتين . (جابر عبد الحميد وعلاء كفاي، ١٩٩٠، ج ٣ : ١٢٣٥) .

على الذات . فالتقاء العيون بين الأفراد العاديين يعتبر أول إشارة تفتح الطريق إلى التواصل مع الآخرين؛ حيث يعطى الإشارة بالمبادأة فى الإتصال والحديث أو الرغبة فيه أو متابعتها مع الشخص الآخر أو معرفة تأثيره أو التعبير عن الانفعالات والعواطف؛ فأنت إذا نظرت إلى شخص مبدئياً الرغبة فى الحديث، ولم يبادلك النظرة أو أشاح عنك بوجهه؛ فمعنى هذا بالنسبة بك هو العزوف أو عدم الرغبة فى الدخول فى محادثة أو إتصال .

ومن هنا تأتي أهمية تدريب أى طفل ذاتوى على التجاوب مع إلتقاء العيون واستمرار المحاولات معه للنظر فى عيني من إحادثه، حيث أن النجاح فى تحقيق ذلك يعتبر، ليس فقط ضرورياً لتحقيق التوافق الإجتماعى، والقدرة على التواصل وتكوين علاقات، بل هو - بالضرورة - أساس نجاح برامج التدريب والتأهيل فى المستقبل، ويعين الأخصائى النفسى الذى يعمل مع الطفل الذاتوى فى التواصل مع الطفل وتوجيهه؛ حيث أن التقاء العيون، هو المدخل المحورى والجوهري للمرحلة الأولى من التدريب والتأهيل .

وفى هذا الصدد يؤكد " عثمان لبيب " (١٩٩٥ : ٧) على أهمية التدعيم المادى والمعنوى للطفل الذاتوى كلما تجاوب مع الأخصائى النفسى، وكما تبادل معه النظرات . آية ذلك أنه عندما ينجح الأخصائى النفسى أو مدرس الطفل، أو معلمته، فى جعل الطفل يبادله النظرات، عليه فى كل مرة أن يقوم بتعزيز هذا السلوك الإيجابى للطفل عن طريق التدعيم المادى بإعطائه قطعة من حلوى أو طعام يفضله أو نشاط يحبه، أو عن طريق التدعيم المعنوى كالمديح اللفظى، أو الاستحسان، أو الربت على الكتف، أو إظهار الاهتمام الشخصى بالطفل، أو من خلال تعبيرات الوجه، أو الموافقة على قيام الطفل بنشاط يهواه .

ويضيف " عثمان لبيب " - المرجع السابق - أنه مع التأكيد على أهمية هذه الخطوة الأولى فى برامج التأهيل - باعتبارها مدخلاً للنجاح فى تحقيق المراحل التالية للتأهيل - فإنه يتعين توجيه أنظار العاملين فى مراكز التأهيل وكذلك الأباء ، إلى أنه مهما كانت الصعوبات التى قد تعترض تدريب الطفل على تبادل النظرات والتقاء العيون، فإنها عملية ممكنة، وتنتهى بالنجاح فيما عدا أنها تحتاج إلى قدر من الصبر والإصرار مع استخدام التدعيم المادى والمعنوى المستمر، كلما كان تجاوب الطفل مع من يقوم بتدريبه وعلاجه، وكما توقف الطفل عن استخدام الأساليب الهروبية فى أثناء مواقف التدريب .

المرحلة الثانية : معالجة السلوكيات غير المرغوبة :

ويكون التركيز في هذه المرحلة الثانية من مراحل تدريب وتأهيل الطفل الذاتوى، على معالجة أو الحد من السلوكيات غير التوافقية بصفة عامة مع التدعيم المستمر مادياً ومعنوياً، ايجابياً عن طريق المكافآت، وسلبياً إما عن طريق العقاب، أو التجاهل التام للسلوك غير المرغوب فيه، أو عن طريق عزل الطفل بعيداً، فى مكان منفصل .

وهذه الاجراءات من شأنها أن تقلل من ظهور السلوكيات غير المرغوبة حتى تصبح قليلة الحدوث، لأنه ليس من السهل أن تختفى تماماً . بالإضافة إلى أن هذه الاجراءات تحتاج إلى تضافر جهود أشخاص عديدين، على رأسهم أفراد الأسرة، ثم القائم أو القائمين بعملية التدريب والمعالجة .

المرحلة الثالثة : وفيها يبدأ الطفل التدريب على محاكاة أو تقليد القوائم بعملية المعالجة والتدريب . وذلك بالقيام بنفس حركات أو أداء أعمال يقوم بها وهو يجلس أو يقف أمام الطفل .

وهذه المرحلة الثالثة تركز على ما تم إنجازه فى المرحلة الأولى؛ فإذا نجح المعالج فى تحقيق التواصل مع الطفل عن طريق إلتقاء العيون فإن ضمان نجاح المعالجة فى هذه المرحلة الثالثة يعتمد على أن يبدأ هذا التدريب فقط بعد أن ينظر المعالج إلى عينيه أولاً ، وأن يرد له الطفل النظرة ويستمر إلتقاء العيون طوال مرحلة التدريب . وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية مشاركة أفراد الأسرة فى عملية التدريب - لا سيما الأم - صحيح أن تحقيق التعاون الوثيق المستمر مع أسرة أى طفل معاق، ليس سهلاً أو ناجحاً دائماً، لكنه ممكن التحقيق والمهم الإصرار والصبر والمداومة على العمل لتحقيق الهدف من التدريب .

ويمكن - فضلاً عما سبق - أن تحتوى هذه المرحلة الثالثة - على بعض الأنشطة الرياضية التى يتخللها فترات من اللعب الموجه سعياً وراء تفريغ أية شحنات من التوتر والقلق أو الاحباط لدى الطفل؛ فقد أشارت بعض دراسات الحالات إلى أن ممارسة الطفل الذاتوى لأنشطة اللعب المختلفة والخروج فى رحلات أو معسكرات؛ من شأنه أن يساعد على تفريغ شحنات الطاقة الزائدة المتمثلة فى الحركات القسرية، والطقوس النمطية الروتينية غير الهادفة والتى

يفيض بها الجهاز العصبى للطفل الذاتوى، فضلا عن أن النشاط البدنى المكثف قد يسهم فى تحسين قدرة الطفل على التحكم فى جهازه العضلى، وأخيراً فإن توفير فترات كافية من اللعب الموجه؛ قد يزيد من كفاءة ومهارة الطفل الذاتوى على ضبط النفس والتعاون والعمل مع الآخرين من الرفاق والأخصائيين والتي تعتبر البيئة المواتية لاكتساب المهارات الاجتماعية فى المستقبل والخروج من حالة الاتفلاق والعزلة التى يتصف بها الطفل الذاتوى.

المرحلة الرابعة : يدور الاهتمام فى هذه المرحلة حول التدريب على إصدار الأصوات المختلفة؛ ثم البدء فى التواصل اللغوى . ويتعين أن نشير هنا - إلى أن هذه المرحلة يمكن تجاوزها فى حالات الأطفال الذين لديهم حصيلة لغوية لفظية ولو كانت حصيلة قليلة أما الأطفال الذاتويين الذين لا يتكلمون إطلاقاً، فتعد بالنسبة لهم مرحلة أساسية فى عملية التدريب . كما تتعين الإشارة إلى أن هذه المرحلة الرابعة تبدأ بعد نجاح تحقيق أهداف المراحل الثلاثة السابقة .

ويبدأ التدريب بتشجيع الطفل الذاتوى على إصدار أصوات معينة يحدثها الأخصائى، وتجاهل أو تجنب إصدار الأصوات المبهمة . ومع التكرار والتجاوب من جانب الطفل واستخدام التعزيز بصور مختلفة من قبل الأخصائى يمكن أن يبدأ الطفل تدريجياً فى تقليد أصوات حيوانات أو نغمات موسيقية سهلة، مع التقليل من إصدار الأصوات الخافتة كالمهممة، أو الأصوات العالية المزعجة قدر الإمكان .

وغالبا ما تستغرق هذه المرحلة الرابعة وقتاً طويلاً، حتى يصل الطفل الذاتوى إلى مستوى يصبح فيه قادراً على التحكم فى مخارج الألفاظ، وعلى ضبط نوعية الأصوات التى يطلب منه الأخصائى أن يقلدها، حتى لو كان بعضها بلا معنى، أو لا يفهم الطفل مدلولاتها . ويؤكد العديد من الباحثين - هنا أيضاً - على أهمية عملية التعزيز المستمر للسلوك الإيجابى للطفل، وذلك حتى لو كان التقدم أو التجاوب من جانب الطفل بسيطاً، ويحذرون من إرجاء التعزيز إلى أن ينجح الطفل تماماً فى تحقيق الدقة الكاملة فى تقليد الأصوات المطلوبة، إذ أن هذا الإرجاء قد يؤدي إلى حالة من الشعور بالإخفاق والفشل لدى الطفل فيتوقف عن بذل المزيد من المحاولات .

المرحلة الخامسة : ويمكن أن نطلق عليها مرحلة التقليد اللفظي :
تهدف هذه المرحلة إلى تدريب الطفل الذاتوى على إصدار بعض الألفاظ
أو الكلمات باستخدام المحاكاة أو التقليد . وتسعى فى نفس الوقت إلى التعامل
مع بعض السلوكيات السلبية أو الأساليب الهروبية - إن وجدت - لدى الطفل.
والفنية العلاجية المستخدمة هنا أيضا هى التعزيز الفورى للسلوكيات الموجبة
لدى الطفل .

المرحلة السادسة : التدريب على التخاطب :
وتعد هذه المرحلة أساسية كذلك، بالنسبة للطفل الذاتوى الذى لا يملك
حصيلة لغوية تتناسب مع عمره الزمنى، ولا يتكلم إلا قليلا، وتأتى فى أعقاب
نجاح الطفل فى تقليد بعض الكلمات أو التطق ببعض الجمل القصيرة المكونة
من كلمتين، بحيث يزداد طول الجملة تدريجيا على مدى زمنى طويل نسبيا .
يلى ذلك - وفى نفس المرحلة - الاستعانة بالصور والأشكال بغية زيادة
الحصيلة اللغوية للطفل تدريجيا على مدى يتناسب مع امكانات الطفل الذاتوى
من جهة، وسرعة تقدمه من جهة أخرى، مع ملاحظة الاستمرار فى تدريبه
على ما سبق أن تعلمه لضمان ثبات ما تعلمه وحفاظا عليه من النسيان،
فالطفل الذاتوى ينسى سريعا، وقدرته على التركيز محدودة . وهذا لا ينفى
صحة الحقيقة التى تشير إلى أن نسبة عالية من الأطفال الذاتويين كثيرا ما
يتذكرون أشياء أو خبرات سبق أن مروا بها واستوعبوها، حتى بعد مضي
فترات زمنية طويلة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الأطفال الذاتويين - ذوى الإعاقات
اللغوية - قد يحتاجون فى هذه المرحلة إلى حضور جلسات تخاطب تُستخدم
فيها الأجهزة والوسائل المعينة الصوتية والضوئية والإلكترونية الحديثة إذا
تيسر ذلك .

المرحلة السابعة : تنمية القدرات الاجتماعية :
ويمكن أن تُسمى أيضا مرحلة العمل مع الرفاق والتدرُّب على التفاعل
الاجتماعى مع الآخرين من أطفال وأخصائيين . وهى مرحلة تعد فى نظر
الباحثين والمهتمين بهذا الاضطراب من أهم ركائز التدريب والمعالجة لهذه
الفئة من الأطفال وأكثر صعوبة وتعقيدا .

" وإذا لم تجر بحرص شديد وسلاسة وبسرعة مناسبة وتدرّج فإنها قد تؤدي إلى حالات من الإحباط والنكوص والقلق والتوتر مما يزيد من مشكلات الطفل الذاتوى تعقيداً وعزلة وانغلاقاً " . (عثمان لبيب، ١٩٩٥ : ١١) .

ومع أهمية هذه المرحلة في تأهيل الأطفال الذاتويين - خاصة في الحالات الشديدة؛ أو تلك التي لم يبدأ فيها التأهيل في سن مبكر ٢ - ٣ سنوات فإنها تعتبر من أكثر جوانب التأهيل صعوبة وتعقيداً، وقد تستغرق في تحقيقها فترات زمنية طويلة قد تمتد لسنوات عديدة .

ويشير عثمان لبيب (١٩٩٥ : ١٢) إلى وجود علاقة وتأثير متبادل ومستمر بين نمو المهارات الاجتماعية من جانب، والقدرات اللغوية والقدرة على الاتصال من جانب آخر . أية ذلك أن أنشطة تنمية المهارات الاجتماعية تتيح للطفل الفرص لاكتساب حصيلة لغوية أكبر .

المرحلة الثامنة : التمهيد للتأهيل الأكاديمي :

وهي مرحلة تقابل صفوف رياض الأطفال بالنسبة للطفل العادي غير المعاق . وتبدأ بعد أن يكون الطفل قد أتقن المهارات المكتسبة خلال المراحل السبعة السابقة مع حصيلة لغوية مناسبة، وقدرة على النطق السليم للألفاظ كثيرة الاستعمال في التعبير عن الذات، والرغبات، وقدرة معقولة على التواصل والتفاعل مع الآخرين، وهي تستهدف إعداد الطفل لبدء فصول الأنشطة الأكاديمية تعليمياً وتربوياً، وذلك عن طريق إكسابه المهارات اللازمة لاكتساب المعرفة، والتجاوب مع الأنشطة التعليمية .

فالطفل الذاتوى - في هذه المرحلة - في حاجة إلى اكتساب القدرة على الاستجابة الفورية لما يطلبه المدرّس، والقدرة على التركيز والانتباه لدرجة معقولة لما يدور من حديث وتواصل مع المدرّس والرفاق الآخرين في الصف، والقدرة على محاكاة المدرّس أو أحد زملاء بمجرد أن يطلب منه ذلك .

وباختصار تهدف هذه المرحلة إلى إكساب الطفل كافة المهارات اللازمة لبدء برنامج التدريب التعليمي والتحصيل الدراسي والسلوكيات المتصلة بهذه الأنشطة . ولما كانت الأنشطة التي تجرى في الفصل الدراسي تتطلب مهارات لغوية؛ فإن هذه المرحلة تهدف أيضاً إلى متابعة وتعزيز واستمرار

النمو وارتقاء اللغة، ومهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي . لذلك يحدد الباحثون والمهتمون بهذا الاضطراب عدد أطفال الفصل - في حالات الذاتوية - بنحو ٣ - ٤ أطفال ، مع وجوب وجود اثنين من المدرسين (ويفضل أن يكون معلم ومعلمة)، مع امكانية حضور أحد الأفراد للعمل كمساعد للمعلم - أو المعلمة - وربما يكون هذا الفرد الأم أو الأخت الكبرى لأحد حالات الذاتوية بحيث يمارس هذه المهمة متطوعاً - بعد مروره بخبرات التدريب المتكامل على منهج وأساليب التأهيل والتعامل مع الأطفال الذاتويين .

ولا يتعين النظر إلى هذه المرحلة باعتبارها مرحلة تهدف إلى تعليم الطفل الذاتوي مبادئ القراءة والكتابة، لكن يتعين النظر إليها على أنها مرحلة تمهيدية ثرية وغنية بالأنشطة المشابهة لتلك التي تجرى في دور الحضانة ورياض الأطفال العادية من قبيل التربية الفنية، ورسم الحروف الكبيرة بالطباشير، أو الرسم على الرمل ... إلخ .

المرحلة التاسعة : استكمال المهارات اللغوية :

وهدف هذه المرحلة هو استكمال المهارات اللغوية - التي سبق للطفل البدء في تعلمها - واللازمة للدخول في مرحلة الدراسة الأكاديمية وأنشطة المنهج التربوي بتشعباته المختلفة المرتبطة بمستوى ذكاء الطفل . فمن المعلومات المتوافرة لدينا عن اضطراب الذاتوية أنه يمكن أن يصيب الطفل عادي الذكاء أو الطفل عالي الذكاء، كما أنه يمكن أن يصيب الطفل المتخلف عقلياً . وعلى هذا يمكن القول أن مجموعات الأطفال الذاتويين يختلفون في قدراتهم العقلية، وتباين مستوياتهم تبايناً كبيراً، ومن هنا تأتي أهمية إعادة تصنيفهم بعد تحقيق قدر مناسب من النجاح فيما يتعلق بأهداف المراحل الثمان السابقة من مراحل تدريب وتأهيل حالات الأطفال الذاتويين .. وذلك قبل الشروع في تأهيلهم أكاديمياً .

ومما يجدر ذكره هنا، أن نشير إلى أن كل مرحلة من المراحل الثمان السابقة تستغرق فترات زمنية مختلفة من طفل لآخر وذلك في ضوء درجة أو شدة الإعاقة، ومن هنا، تتضح أهمية تحديد مستوى الذاتوية لدى الطفل الذاتوي " التوحدي " وذلك على مقياس السلوك الذاتوي الذي أعده " كروج " Krug ، وأيضاً على مقياس السلوك التواقي للأطفال . وذلك قبل وضع أي تخطيط لمنهج أو برنامج التدريب والتأهيل .

كما أنه من المتوقع - من ناحية أخرى - أن تكون هناك صعوبة في تحقيق أهداف التدريب والتأهيل، واتساع المدى الزمني الذي تستغرقه كل مرحلة، والذي قد يمتد لسنوات مرتبطاً في ذلك ارتباطاً طردياً كلما ازدادت شدة الحالة .

كما أنه من المتوقع - من ناحية ثالثة - أنه في بعض حالات الأطفال الذاتويين قد يكون التقدم أو التحسن أمراً بعيد المنال، خاصة إذا اقترنت الذاتوية بالتخلف العقلي الشديد، ومن نافذة القول - في هذا الصدد أن نذكر أن الاضطراب الذاتوي من أكثر اضطرابات الطفولة صعوبة . وأنه على الرغم من إجراء البحوث والدراسات المستفيضة، خاصة في الدول الصناعية، إلا أن التقدم في فهم محددات هذا الاضطراب، وأساليب التدخل والتأهيل والعلاج لا يزال محدوداً .

والقارئ لمراحل التأهيل المتبعة مع حالات الذاتوية " إعاقة التوحد " يمكن أن يستخرج بعض النتائج العامة، وذلك على النحو التالي :

(أ) أن كل طفل ذاتوي " اجتراري " له سمات شخصية مميزة، قد تتفق، وقد تختلف مع السمات الشخصية لغيره من الأطفال . ولذلك يمكن القول أن لكل طفل ذاتوي مسار خاص به وحده في عملية التدريب والتأهيل . وأن المسار تتم مراجعته وتعديله في ضوء ما يحققه كل طفل على حدة، وذلك في ضوء ما أمكن التوصل إليه في كل مرحلة .

(ب) أن تقسيم عملية التدريب والتأهيل إلى مراحل ليس معناه أن كل مرحلة منفصلة عن المرحلة التي قبلها والمرحلة التي تليها . ذلك أن هذه المراحل ما هي إلا تقسيم نظري . وهذا التقسيم النظري ما هو إلا تصور للمسار الذي يحدد ملامح البرنامج، وفهم ترتيب المهارات المطلوبة فيه . ومعروف أن اكتساب بعض المهارات الجديدة قد يتطلب، وقد لا يتطلب اكتساب مهارات معينة سابقة، كما أن نجاح الطفل الذاتوي في التدريب على أنشطة معينة في مرحلة حالية لا يتم إلا بعد نجاحه في التدريب على هذه الأنشطة في مرحلة سابقة، وهكذا . وبالمثل فإن إتقان بعض الأنشطة في مرحلة ما، لا يعني توقفها في المراحل التالية، بل قد يتطلب التدريب العودة إلى العديد من الأنشطة السابقة لتذكرة الطفل بها، والتأكيد على استمرار أية استيعابها، خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا أن

الطفل الذاتوى سريع النسيان، فيما عدا بعض الحالات التى يتذكر فيها خبرات سابقة معينة، وأن إعادة التدريب وتكرار عملية أساسية فى الحصول على مزيد من التقدم .

(ج) أنه - من الضرورى - لإنجاح أى برنامج للتدريب وتأهيل الأطفال الذاتويين - خلال كافة مراحل بصفه عامة، ومراحل التأهيل الأكاديمى والاجتماعى بصفة خاصة - أن تتضافر عوامل عديدة من قبيل الألفة والتواصل، وبناء الثقة بين الطفل ومعلمه - أو معلمته - من جهة؛ والطفل والأخصائى القائم بعملية التدريب والتأهيل من جهة ثانية - وأن يسود جلسات التأهيل جو من الحب المتبادل، والاحترام، والشعور بالأمان بالنسبة للطفل، والاهتمام به، وما إلى ذلك .

(د) أنه من الضرورى - كذلك - فى تدريب الأطفال الذاتويين الاعتماد على عناصر البيئة المألوفة لدى الطفل، واستخدام المحسوسات والوسائل التعليمية . وتجنب استخدام المفاهيم المجردة، وذلك لأن الطفل الذاتوى يعجز عن التجريد والتصور والتخيل .

(هـ) أن من عوامل نجاح تدريب وتأهيل الطفل الذاتوى - بالإضافة إلى ما سبق - الاعتماد على الاتصال المباشر بعناصر البيئة المألوفة، ذلك أن الطفل الذاتوى لا يملك رصيداً معرفياً، ويعانى من غياب القدرة على تمثيل الأشياء . وعلى ذلك فهذا النوع من الأطفال فى حاجة إلى التدرج البسيط، حتى فى الأشياء المألوفة، أو التى من نفس النوع، فضلاً عن ضرورة تكثيره المستمر بما سبق أن تعلمه، أو اكتسبه من خبرات، فالطفل الذاتوى يفقد بسهولة ما تعلمه سابقاً .

(و) يُراعى فى تدريب وتأهيل الطفل الذاتوى تدريباً أكاديمياً أن تكون فتراته قصيرة نسبياً تتراوح ما بين ١٠ - ١٥ دقيقة تزداد تدريجياً حتى تصل إلى ٣٠ دقيقة على الأكثر؛ لعجز هذا الطفل عن التركيز والانتباه لفترات طويلة .

(ز) أن من عوامل نجاح تدريب وتأهيل الطفل الذاتوى - بالإضافة إلى ما سبق ذكره - استخدام وسائل مثيرة للحواس لتنمية قدراته وذلك من خلال استخدام " أدوات ذات أشكال وألوان مختلفة، وأجهزة تصدر أصواتاً متدرجة مختلفة وغير ذلك من الوسائل السمعية والبصرية المعتمدة على

إثارة حواس الإبصار، أو السمع، أو اللمس . ويساعد على تحقيق هذا النجاح توافر هذه الوسائل في ظل التقدم العلمى والتكنولوجى المعاصر مما يتيح استخدام التليفزيون والفيديو والأجهزة التعليمية التى تتيح الفرصة لللمس والسمع فى تعلم الحروف والأرقام، والاختيار، والاستيعاب، والتعزيز الفورى لاستجابات الطفل، وكذلك الأفلام والكتب المبرمجة، وأجهزة الكمبيوتر مع توافر المواد المبرمجة والتى أمكن انتاج بعض منها محليا " (عثمان لبيب، المرجع السابق، ص ١٨) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن استخدام التقنيات الحديثة ليس هدفاً فى حد ذاته، ولكنه وسيلة لتنمية الدافعية والرغبة فى التعلم، وتكوين توافقات اجتماعية بناءة تحفز الطفل الذاتوى وتشجعه على التفاعل مع بيئته، وتوظيف معلوماته كى يحقق أكبر قدر ممكن من الاستقلال الشخصى والاعتماد على النفس فى حدود قدرات الطفل ونجاحه، وسرعة تقدمه .

(ح) أن من عوامل نجاح تدريب وتأهيل الطفل الذاتوى - كذلك - العمل على تنشيطه على المستوى العقلى . ذلك أن تنشيط عقل الطفل العادى يمكن أن يحدث بشكل تلقائى فى بيئته الاجتماعية، وكنتيجة للتفاعل المستمر مع الوسط الذى يعيش فيه، أما فى حالة الطفل الذاتوى، فإن نموه العقلى قد يظل جامداً أو قد يسير ببطء شديد، ويحتاج إلى نشاط خاص، وتدخل تربوى مكثف ومتواصل، وذلك بسبب انغلاق وعزلة الطفل، وقصور قدرته على التواصل مع الآخرين، وغياب الحافز لديه؛ مما يتطلب الدقة فى اختيار الأنشطة المشوقة والجذابة .

(ط) ومما يذكر فى هذا الصدد أيضاً أن مساحة حجرة الفصل الدراسى وطريقة اختيار الأثاث، ونوعيته، وترتيبه، وإمكانية تغيير تنظيم محتويات هذا الفصل بين الحين والآخر، كذلك تغيير ألوانه وإضاءته، ومدى توفر المواد والوسائل التعليمية، ومكتب للطفل، وأدوات الكتابة، والتربية الفنية، كلها فرادى أو مجتمعة، عوامل تلعب دوراً جوهرياً فى تخطيط وتنفيذ برنامج التعليم والتدريب لأى طفل ذاتوى، خاصة إذا كان عدد تلاميذ الفصل الدراسى يتراوح بين ٣ - ٥ أطفال حسب السن ودرجة الإعاقة ومستوى الذكاء إلى جانب وجود أكثر من مدرس ومساعد للمدرس فى أن واحد مما يمكن المدرس من العناية الفردية بكل

طفل في الفصل؛ وهذا يتيح له رصد، ومتابعة تنفيذ عناصر برنامج التعليم والتدريب وتقييم النتائج تقييماً موضوعياً .

(ي) يتعين - في ضوء ما سبق - القول بأن نجاح بعض أساليب التدريب والتأهيل والتفاعل التربوي والاجتماعي مع حالة من حالات الأطفال الذاتويين لا يعنى بالضرورة نجاحها مع كل الحالات المماثلة، حتى لو كانت حالات لأطفال ذاتويين، ذلك أن لكل طفل ذاتوى خصائصه المحددة التي تميزه عن غيره من الأطفال، وهذا معناه أيضاً، أن أية خطة علاجية أو تأهيل اتبعت في تأهيل طفل معين، إنها سوف تحرز نفس القدر من النجاح لو طبقت على طفل آخر؛ فلكل طفل ظروفه وقدراته ونوعية ودرجة إعاقته، وله ما يناسبه من أسس ومناهج وأساليب للتدريب والتأهيل .

الفصل الخامس

الذاتوية :

بحوث ودراسات

- مقدمة

- دراسات تناولت الذاتوية

الفصل الخامس : الذاتوية : بحوث ودراسات

مقدمة :

حاول المؤلف في الفصول الأربعة الأولى من هذا الكتاب أن يلقى بعض الضوء على هذا الاضطراب من عدة جوانب . وفي هذا الفصل الأخير، يرى أنه من المفيد في محاولة فهمه لاضطراب الذاتوية ، أو اعاقاة التوحد، أن يلخص عدداً من الدراسات والبحوث التي تناولته . وهذه المهمة يمكن القيام بها على النحو التالي :

(١) دراسة عمر بن الخطاب خليل (١٩٩١) :

بعنوان " التشخيص الفارق بين التخلف العقلي، واضطرابات الانتباه، والتوحدية " .

هدفت الدراسة إلى تعريف ثلاثة من أهم اضطرابات الطفولة التي تمثل إعاقات جوهرية تؤدي إلى ارتقاء (نمو) غير سوى للطفل، ونتيجة لإختلاط عدد كبير من الأعراض، فإن عملية التمييز أو التشخيص الفارق بين كل من التخلف العقلي (MR) Mental Retardation واضطرابات الانتباه Attention Deficit Hyperactivity Disorder (ADHD) سواء المصحوب بإفراط في النشاط (النشاط الزائد) أو غير مصحوب بالنشاط الزائد، والشخصية التوحدية (الذاتوية " اعاقاة التوحد " Autism، أصبحت عملية ضرورية، وأصبحت الحاجة ماسة بالنسبة للمتخصصين للتعرف على خصائص وسمات كل فئة وطبيعة المشكلات التي تعانيها والمحكات التشخيصية التي يمكن الاعتماد عليها في هذا المجال، وهو أمر على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للأخصائي النفسي الكلينيكي .

وقد قام الباحث في بداية دراسته بتحديد وتعريف القدرات، ثم تحديد مفاهيم الإعاقاة والمظاهر السلوكية المرتبطة بكل إعاقاة منها على حدة، مما قد يؤدي - من وجهة نظره - إلى نتائج تشخيصية سليمة .

وقد تناول الباحث تعريفات مختلفة للتخلف العقلي، من حيث المحاور الرئيسية الثلاثة التي تصدت لتعريفه وهي (أ) نسب الذكاء فقط، (ب) قدرة الشخص على التكيف والمواعاة مع المجتمع أو ظروفه البيئية، (ج) أسباب التخلف خاصة الطبيعية منها وكذلك تلك التي تتناول المشكلات البنائية أو الإختلال القائم على أسباب بنائية .

كما عرض لمصطلح اضطراب الانتباه باعتباره يشير إلى أداء الأطفال ذوى النشاط الزائد Hyperactivity التي تتمثل ملامحهم الرئيسية في عدم وجود نمو مناسب للانتباه، واندفاعية Impulsiveness وحركة زائدة تظهر في أماكن كثيرة (على سبيل المثال : فى المنزل، المدرسة، العمل، المواقف الاجتماعية Social Situations) .

كما عرض للاضطراب التوحدى (الذاتوية " اعاقاة التوحد ")، ومحكاته التشخيصية وهى (أ) التفاعل الاجتماعى، (ب) الاتصال اللفظى وغير اللفظى، والنشاط التخيلى، (ج) ومخزون الأنشطة والاهتمامات .

وخلص الباحث إلى نتائج عدة تتبلور فى أن التخلف العقلى، واضطراب الانتباه، والاضطراب التوحدى (الذاتوية " اعاقاة التوحد ")، يتسم كل منهم باضطراب واضح فى قدرة معرفية مختلفة عن القدرة المضطربة فى الاضطراب الأخير . وأتينا إذا رجعنا إلى التعريف الخاص بالتخلف العقلى نجد فيه أن الطفل يعانى من تأخر وتخلف واضح فى نسبة الذكاء، ولما كانت أحد محكات الصدق لمقاييس الذكاء هى التحصيل الدراسى، فإن المشكلة الرئيسية تكون فى الذاكرة؛ إذ لا يستطيع الطفل أن يختزن المعلومات حتى فى السلوك التوافقى . ولذلك فإن المتخلف عقليا يعانى من صعوبات وتخلفاً واضحاً فيه ينتج عن عدم قدرته على استيعاب وتخزين الخبرات التى يحتاجها فى مواقف تالية .

أما اضطراب الانتباه فإن مسمى الاضطراب يدل على أن القدرة المضطربة هى الانتباه، ومن ثم فإن صاحبها يعانى من صعوبات فى التعلم والسلوك الاجتماعى كنتيجة لأنه غير ملتفت أو غير مشغول - إن صح التعبير - للمنبهات المحيطة به، ومن ثم فإن هذه المنبهات لم تختزن فى الذاكرة، لا كنتيجة لمشكلة فى الذاكرة، ولكن كنتيجة لعدم دخول المعلومة أصلاً . أما الذاتوية " اعاقاة التوحد " (أو الاضطراب التوحدى)، فتتمثل مشكلته فى الإدراك إذ نجد أن الطفل الإجترارى يهتم ويستجيب لمنبهات بعينها - بغض النظر عن كونها استجابة شاذة - ولا يستجيب لمنبهات أخرى، بما يعنى أن الخلل والعطب يكونان فى الإدراك .. هذا بالإضافة إلى عدم قدرته على التفاعل والتواصل مع الآخرين، مما يعيقه عن العمل على زيادة مخزون الذاكرة والإرتفاع بمستوى القدرة .

* مثال لحالة " أوتيزم " (١) :

هي فتاة أسترالية تدعى " دونا ويليامز " عاشت طفولتها في معاناة بغير حدود في تعاملها مع أسرتها وأقربائها وأقربائها؛ حيث أمضت سنوات طويلة حبيسة غرفة معزولة في منزل الأسرة . ولم يكتشف أحد أنها تعاني من الأوتيزم إلا عندما وصلت إلى سن الخامسة عشر .

كانت " دونا " من نسبة الـ ١٠٪ من الاجتراريين الذين لا يعانون من تخلف عقلي مصاحب لهذه الإعاقة، فقد كانت عادية الذكاء، مما مكنها بما أتيج لها من فرص موائية لاكتساب مهارات الإتصال عن طريق الإشارة أولاً ثم عن طريق النمو اللغوي البطيء نوعاً ما، ثم تعلمت الإتصال عن طريق الآلة الكاتبة أولاً، ثم عن طريق الكمبيوتر .

ولدت " دونا ويليامز " لأسرة ريفية كانت ترفض بشدة تصرفات الأبنة وتقابلها بعنف، وقسوة، متهمين إياها بالعناد والخباء، ولم يغير من معاملة الأسرة تشخيص أحد أطباء القرية لحالتها بأنه " طفلة إجترارية " وكان ذلك في الثانية من عمرها، بل حجبتها الأسرة بعيداً عن عيون الجيران خوفاً من الفضيحة أو أن يقال أن لديهم ابنة معتوهة .

وكانت " دونا " تسمع من أمها وبعض الجيران أصواتاً تصدر من أفواههم تختلف في شدتها ونغماتها ولا تفهم معناها . ولم تكن تستطيع تقليدها حتى سن الرابعة تقريباً . ثم بدأت — بعد ذلك — في تقليد النطق بأخر كلمة أو كلمتين سمعتها من أمها أو أبيها أو أحد أقاربها . ورغم ذلك كانت تجد صعوبة كبيرة في متابعة السرعة التي كان يتحدث بها الآخرون .

وعند إلحاقها بمدرسة رياض الأطفال في سن الرابعة — كانت المدرسة بمثابة إمتداد للوحدة التي تعانيتها في المنزل، لكنها اغرقت نفسها في أعمال روتينية نمطية غير هادفة، بحيث تستهلك من وقتها أكبر قدر ممكن من الساعات .

(١) هذا المثال عبارة عن تلخيص للحالة التي عرضها عثمان لييب فراج (١٩٩٥ : ٢ — ١٠) .

وعندما بلغت عامها الثاني عشر لاحظت أنها تتمتع بذاكرة قوية بدرجة تفوق أقرانها، فنجحت بشكل لفت أنظار مدرسيها وإدارة المدرسة، حتى أن المدرسة أوفدتها مع ثلاث من زميلاتها إلى كندا في برنامج تبادل الشباب من الطلبة والطالبات لتمضية عام دراسي في ضيافة أسرة كندية في مونتريال، وفعلا سافرت وكان عمرها في ذلك الوقت خمسة عشر عاماً، وقضت عاماً دراسياً ممتعاً في مدرسة ثانوية والتحقت في نفس الوقت بأعمال مختلفة لمدة ساعتين يومياً خلال أيام الأسبوع بعد عودتها من المدرسة وخلال عطلات نهاية الأسبوع وغيرها من الأجازات . ولفرط نجاحها في العمل والدراسة وتفانيها في إسعاد الأسرة الكندية التسي فقدت طفلتها ذات العشرة أعوام في حادث سيارة، طلبت هذه الأسرة تبنيها رسمياً وبقاتها في كندا .

غير أن "دونا" تعثرت في السنوات التالية من المدرسة الثانوية، وفضلت أن تلتحق بعمل، وعُينت بالفعل في مصنع للملابس النسائية الجاهزة، غير أنها عجزت عن مسايرة طبيعة العمل فيه، وطردت، ثم التحقت بعمل آخر، لم توفق فيه أيضاً، مما دفعها إلى محاولة فاشلة للانتحار، إلا أنها أنقذت واهتم بحالتها أحد الأطباء النفسيين ممن يعملون في أحد مراكز البحوث المرتبطة بإعاقة "الأوتيزم" وعرفت "دونا" عندئذ لأول مرة أنها تعاني من هذه الإعاقة . ونجح هذا الطبيب في إعادتها مرة ثانية إلى المدرسة بعد فترة علاج طويلة، حتى أنها أنهت مرحلة التعليم الثانوي، بل وحصلت على منحة للدراسة الجامعية، التي التحقت بها بالفعل وكانت عندئذ في أواخر العام الثامن عشر من عمرها .

وقد واجهت "دونا" الكثير من الصعاب في أثناء دراستها الجامعية، وخاصة تلك الصعوبات ذات الصلة باستيعاب المحاضرات ولكنها كانت تتغلب عليها عن طريق تسجيلها محاضرات أساتذتها والمناقشات التي تتم خلالها أو بعدها على شرائط كاسيت ثم تعيد الاستماع إليها بعد عودتها من الجامعة مرة أخرى . إلا أن "دونا" لا تزال بعد اتمام دراستها الجامعية تعاني من صعوبات تتعلق بصعوبة التعبير الشفوي والبدهء بالحديث أو المناقشة، ولا تزال تميل ميلاً شديداً للوحدة والتأمل . كما لا تزال تتجنب الجلوس في وسط أي مكان وتجلس دائماً بجوار الحائط، ولا زالت تعاني من حساسية شديدة تجاه الأصوات والأضواء القوية . وهي تعمل الآن (عام ١٩٩٢) وقد بلغت خمس وعشرين عاماً - سكرتيرة فنية ومديرة مكتب طبيب نفسي مشهور يعمل بمستشفى للأمراض النفسية والعقلية في لندن .

(٢) دراسة عمر بن الخطاب خليل (١٩٩٤) :

بمعنوان : خصائص أداء الأطفال المصابين بالتوحدية (الأوتيسية) (على اختبار أيزنك لشخصية الأطفال) .

هدفت الدراسة إلى التعرف على خصائص أداء الأطفال المصابين بالتوحدية (الأوتيسية) على اختبار أيزنك لشخصية الأطفال، خاصة في ضوء ما تعانيه العيادات المصرية من قصور واضح - من وجهة نظر الباحث - في أساليب تشخيص هذا الاضطراب . فضلاً عن أن مشكلة الأطفال المصابين بالتوحدية أنهم قد يشخصوا على أنهم أطفال مصابين بالتخلف العقلي . في حين أن الدليل التشخيصي الإحصائي للأمراض العقلية DSM IV لا يصنف التوحدية تحت مسمى التخلف العقلي، ولكن يصنفه تحت الاضطرابات السلوكية ومن ثم فهناك فروق واضحة بين التخلف العقلي والذاتوية ' اعاقاة التوحد ' .

وقد عرضت الدراسة تعريفات عديدة للتوحدية، ثم أعرضها على النحو الذي أشار إليه " وولف " (Wolf, 1988: 576) من أن الأطفال المصابين بالاضطراب التوحدى يعانون :

أولاً : عطب واضح فى الإتصال التفاعلى بالآخرين .

ثانياً : عطب واضح فى الارتقاء اللغوى .

ثالثاً : ممارسة انماط سلوكية نمطية .

وقد اشار الباحث فى سياق عرضه لمشكلة بحثه، أن معظم الدراسات أكدت على أن هناك خصائص وسمات محددة للأطفال المصابين بالتوحدية وهى :

(١) أنهم أطفال منسحبين .

(٢) لديهم عجز واضح فى الإتصال .

(٣) غالباً ما يكونوا لآباء متبلدين إنفعالياً .

(٤) أنهم أطفال شديدى الانطوائية .

(٥) أنهم أكثر توتراً أو عصائيين .

غير أن معظم هذه الخصائص نتجت عن دراسات وصفية وملاحظات سواء من المتخصصين أو من الآباء، فى حين أنه لم تتم دراسة هذه الخصائص من خلال أداة موضوعية، ومن ثم فإن الدراسة تحاول قياس

سمات الشخصية التي يتصف بها الأطفال المصابين بالتوحدية ومقارنتهم بالأطفال الأسوياء لتحقيق الفرضين التاليين :

- ١- أن الأطفال المصابين بالتوحدية أكثر إنطوائية من الأطفال الأسوياء .
 - ٢- أن الأطفال المصابين بالتوحدية عصائيين .
- وقد تكونت عينة الدراسة من مجموعتين هما :

(١) مجموعة الأطفال المصابين بالتوحدية، وكان عددهم خمس وعشرين، أربع وعشرون طفلاً وطفلة واحدة ، متوسط أعمارهم ٦,٢ سنة، واعتمد الباحث على محكين في التشخيص :

الأول : بواسطة أطباء متخصصين في الأمراض العصبية .

الثاني : من خلال انطباق الأعراض عليهم بواسطة الأب والأم والباحث .

(٢) مجموعة الأطفال الأسوياء، وكان عددهم خمس وعشرين، أربع وعشرون طفلاً وطفلة واحدة ، وكان متوسط أعمارهم ٦,٦ سنة .

وكانت أداة الدراسة المستخدمة هي اختبار أيزنك لشخصية الأطفال :

Eysenck personality questionnaire for children ويقيس هذا الاختبار بُعد الانطوائية - الإنبساطية ، والعصائية . وقد تم استخدام اختبار : " ت " ، T. Test لحساب دلالة الفروق بين الأطفال المصابين بالتوحدية والأطفال الأسوياء .

وقد أظهرت نتائج الدراسة صدق الفرضين اللذين افترضهما الباحث، حيث كان الأطفال الأسوياء أكثر انبساطية من الأطفال المصابين بالتوحدية، وكانت الفروق دالة عند مستوى ٠,٠٠١ ، وكان الأطفال المصابين بالتوحدية عصائيين - عند مقارنتهم بالأطفال الأسوياء، وكانت الفروق دالة عند مستوى ٠,٠٥ ، وكان هذا معناه - في ضوء معلومات الباحث عن الشخص المنبسط تماماً (أو النمطي)، المنطوي الخالص (أو النمطي) أن الأطفال التوحيديين بما أنهم يتسمون بالإنسحاب والعزلة وعدم القدرة على التفاعل مع الآخرين ، فإنه يصبح منطقياً أن نعتبرهم أطفالاً شديدي الانطوائية، كنتيجة لإضطرابهم، وكنتيجة طبيعية لانطوائية آبائهم، ومن ثم تتسق النتائج التي تصف الأطفال المصابين بالتوحدية بأنهم أكثر إنطوائية من أقرانهم الأسوياء كنتيجة لخصائص الاضطراب والنشأة .

وقد يؤدي عجزهم عن الإتصال بالآخرين وكننتيجة لنشأتهم غالباً في بيئة غير مشبعة، أو يوجد بها الكثير من الخلط في النظام الإشاري، قد لا يعقبها غالباً استجابات صحيحة، قد يؤدي ذلك إلى توتر وقلق وتقلب في المزاج أو ما يسمى بالعصائية. وهذا ما يعاني منه ويتسم به الأطفال المصابين بالتوحدية، ومن ثم كانت النتيجة متسقة والدراسات السابقة التي تصفهم بالعصائية حيث اتضح من النتائج أنهم أكثر عصائية من أقرانهم الأسوياء .

(٣) دراسة عبد المنان ملا معمور (١٩٩٧) :

بعنوان : " فاعلية برنامج سلوكي تدريبي في تخفيف حدة أعراض اضطراب الأطفال التوحديين " .

هدفت الدراسة إلى استخدام برنامج سلوكي تدريبي يعمل على تخفيف حدة أعراض الأوتيزم المتمثلة في كل من القلق، والسلوك العدواني، والنشاط الحركي المفرط، وضعف الانتباه، وعدم القدرة على إقامة علاقات إجتماعية مع الآخرين، وذلك لدى عينة من الأطفال ذوي الأوتيزم، إضافة إلى تنمية بعض المهارات الحياتية لدى هؤلاء الأطفال حتى يمكنهم أن يستفيدوا من الخدمات المقدمة لهم والتوافق مع البيئة المحيطة بهم .

وقد أشار الباحث في مقدمة دراسته إلى العديد من الدراسات الأجنبية التي ألفت بعض الأضواء على الذاتوية " اعاقاة التوحد " — وهي الظاهرة موضع الاهتمام والدراسة .

ثم لخص مشكلة بحثه في الأعراض التي يعاني منها الأطفال الاجتراريون تقف عائق في طريق كل من يتعامل مع هؤلاء الأطفال سواء في داخل الأسرة أو في المؤسسات المخصصة لمساعدتهم، وهذا هو ما يجعلهم يشعرون بالإرهاق والملل، وبالتالي قد يقل حماسهم وجهدهم المبذول لمساعدتهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن وجود هذه الأعراض يقلل من مدى استفادة الأطفال أنفسهم من الخدمات المقدمة إليهم .

وسجل الباحث خمسة تساؤلات هي بمثابة التعبير عن مشكلة الدراسة وفي ذات الوقت فروضها وهي كالتالي :

(١) هل توجد فروق دالة احصائياً بين الأطفال ذوي الأوتيزم في مستوى الانتباه قبل وبعد البرنامج التدريبي السلوكي ؟

- (٢) هل توجد فروق دالة احصائياً بين الأطفال ذوى الأوتيزم فى السلوك العدوانى قبل وبعد البرنامج التدريبى السلوكى ؟
- (٣) هل توجد فروق دالة احصائياً بين الأطفال ذوى الأوتيزم فى فرط النشاط الحركى قبل وبعد البرنامج التدريبى السلوكى ؟
- (٤) هل توجد فروق دالة احصائياً بين الأطفال ذوى الأوتيزم فى مستوى القلق قبل وبعد البرنامج التدريبى السلوكى ؟
- (٥) هل توجد فروق دالة احصائياً بين الأطفال ذوى الأوتيزم فى مستوى العلاقات الإجتماعية قبل وبعد البرنامج التدريبى السلوكى ؟

ثم عرض الباحث أهمية الدراسة من أربعة جوانب هي :

- (١) أنها تتناول مجموعة من الأعراض تواجه الأطفال ذوى الأوتيزم - أو ذوى التوحد - لها بعض المظاهر الكلينيكية مثل اضطراب الانتباه، والإدراك، والقلق، والسلوك العدوانى، والنشاط الحركى المفرط، بالإضافة إلى عدم القدرة على إقامة علاقات إجتماعية مع الآخرين، حيث تميّز زملة هذه الأعراض الأطفال التوحديين، عن غيرهم من المتخلفين عقلياً والأسوياء.
- (٢) أنها - قد تسهم من خلال البرنامج السلوكى التدريبى فى تخفيف أعراض الأوتيزم، وذلك من خلال تنمية بعض الاستجابات الإيجابية فى سلوك الأطفال الاجتراريين، وتزويدهم ببعض المهارات الحياتية من أجل إحداث التوافق مع أنفسهم .
- (٣) أن هناك ندرة فى البحوث والدراسات فى مجال الذاتوية " اعاقاة التوحد " ، فى البيئة العربية عامة، والبيئة السعودية خاصة .
- (٤) أنها قد تسفر عن نتائج يمكن استثمارها فى الاستفادة من الجهود المبذولة لمساعدة هؤلاء الأطفال على التوافق مع البيئة المحيطة بهم .

وقد تكونت عينة الدراسة من (٣٠) ثلاثين من الأطفال السعوديين التوحديين والذين سبق تشخيصهم بواسطة المقاييس النفسية، الصالحة لتشخيص التوحدية، وترواحت أعمار أفراد العينة ما بين ٧ - ١٤ سنة بمتوسط عمرى قدره ١٢٦ شهراً، وانحرف معيارى قدره ٢٨,٧٤ .
وقد كانت أدوات الدراسة على النحو التالى :

- (١) مقياس " كونرز لتقدير المعلم لسلوك الطفل (١٩٦٩) .
- (٢) مقياس تقييم الطفل المنطوى على ذاته (الدقراوى، ١٩٩٠) .

- (٣) مقياس " بينيه " للذكاء ، و" لوحة جودارد " .
(٤) البرنامج التدريبي (إعداد الباحث) .

وقد أوضحت نتائج الدراسة أن هناك فروق دالة احصائياً عند مستوى ٠,٠٠١ بين متوسطات درجات القلق لدى الأطفال الاجتراريين قبل وبعد البرنامج، وقد كانت الفروق في صالح التطبيق بعد البرنامج التدريبي، بمعنى أن الأطفال الاجتراريين قد انخفض مستوى القلق لديهم بعد تدريبهم على البرنامج .
كما كانت الفروق أيضاً في صالح الأطفال الاجتراريين بعد البرنامج التدريبي، بمعنى أنه قد حدث انخفاض في السلوك العدواني بعد تعرضهم للبرنامج السلوكي.

وينفس النتيجة في التساؤل الثالث حيث انخفض النشاط الحركي المفرط لديهم بعد تعرضهم للبرنامج التدريبي .
ونفس النتيجة في التساؤل الرابع حيث ارتفع مستوى الانتباه لديهم بعد تعرضهم للبرنامج التدريبي .
وأخيراً في التساؤل الخامس أسفرت النتائج عن ارتفاع درجات الاجتماعية لدى الأطفال الاجتراريين بمعنى زيادة علاقاتهم الاجتماعية مع الآخرين .

(٤) دراسة إسماعيل محمد بدر (١٩٩٧) :

بعنوان : " مدى فاعلية العلاج بالحياة اليومية في تحسن حالات الأطفال ذوي التوحد " .

يقرر الباحث بعد أن عرض في مقدمة بحثه لبدائيات هذا الاضطراب وظروف تحديده أن دراسته ماهي إلا محاولة لتطبيق برنامج علاجي تربيوي، هو العلاج بالحياة اليومية Daily life therapy ، وهو نوع من البرامج التي تطبق في مدارس التربية الخاصة في اليابان وأمريكا وكندا واندونيسيا، وأنه ثبتت فاعليته تماماً مع حالات التوحد لدى الأطفال .

وأشار الباحث إلى أن بدائيات اهتمامه بمشكلة التوحد لدى الأطفال ترجع إلى حضور طفل محول من المستشفى إلى عيادة الكلية التي يعمل بها، يعاني من بعض الإضطرابات الانفعالية والاجتماعية الغريبة، وتظهر عليه

مظاهر سلوكية غريبة، وأن هذه الأعراض بدأت من السنة الثانية من عمر الطفل، وتم تشخيص الحالة على أنها حالة توحد Autism ، بعد ذلك قام الباحث بزيارة لعدد من مدارس التربية الخاصة للتعرف على مدى انتشار هذه الحالات بين الأطفال، وتم بالفعل التوصل إلى عدد من الأطفال ممن تنطبق عليها محكات تشخيص الذاتوية " اعاقاة التوحد " (التوحدية)، لكن هؤلاء الأطفال كان يتم تصنيفهم في بعض الأحيان على أنهم متخلفين عقلياً .

وفي ضوء ما سبق تكمن أهمية الدراسة في أنها تتناول فئة من الأطفال لم تأخذ حظها من الدراسات العربية، وهي فئة الأطفال الذين يعانون من التوحد، وذلك كمحاولة لتقديم قائمة للمظاهر السلوكية التي تساعد في تشخيص هذه الحالات، وتقدم الدراسة أيضاً فنية علاجية جديدة في البيئة العربية وهي برنامج العلاج بالحياة اليومية للتعرف على مدى تحسن حالات الأطفال ذوي التوحد بعد تطبيق البرنامج عليهم .

وقد ناقش الباحث في الإطار النظري للدراسة — بشيئين من التفصيل — مصطلح التوحد، ثم ناقش جهود العلماء حول هذا المرض وأعراضه عند عديد من الباحثين والمهتمين به في مجال التربية الخاصة، كما قدم جانباً من التفسيرات البيولوجية والسيكولوجية لمرض التوحد، وناقش الفروق بين الجنسين . ثم عرض للعلاج بالحياة اليومية وأوضح المبادئ الأساسية الخمسة التي يقوم عليها وهي :

- ١- التعليم الموجه للمجموعة Group-Oriented Instruction .
- ٢- تعليم الأنشطة الروتينية Highly Structured Routine Activities .
- ٣- التعلم من خلال التقليد Learning through Imitation .
- ٤- تقليل مستويات النشاط غير الهادف بالتدريب الصادم :
Reduction of unproductive activity Levels through rigorous exercise .

٥- المنهج الذي يركز على الموسيقى والرسم والألعاب الرياضية (أو الحركة) : Curriculum based on Music, Art, and Movement .
وقد تكونت عينة الدراسة من (٤) أربع أطفال ذكور ممن يعانون من مرض التوحد، تتراوح أعمارهم بين ٥,٦ سنة إلى ٧,٨ سنة . وكانت قائمة المظاهر السلوكية للأطفال ذوي التوحد هي أداة الدراسة الأساسية وهي مقسمة إلى أربعة أبعاد رئيسية تعبر عن اضطرابات في الجوانب التالية :

- (أ) الاضطرابات الانفعالية .
- (ب) الاضطرابات الاجتماعية .
- (ج) الاضطرابات فى اللغة .
- (د) الأنماط السلوكية النمطية .

وقد إتضح من نتائج الدراسة مدى فاعلية برنامج العلاج بالحياة اليومية فى تحسن حالات الأطفال ذوى التوحد، ويرجع ذلك إلى أن فنية العلاج بالحياة اليومية، منهج تربوى لمساعدة الأطفال ذوى التوحد، وهذا المنهج بمبادئه الخمسة يسهم فى تحسن حالات هؤلاء الأطفال، ويجعلهم قادرين على الاعتماد على أنفسهم .

ويرى الباحث أن نجاح البرنامج العلاجى إلى أنه متكامل يتناول كافة الاضطرابات الخاصة بفئة الأطفال التوحديين فهو يركز على تعلم المهارات الأكاديمية والدراسية فى مدارس التربية الخاصة من خلال أساتذة متخصصين فى هذا المجال، ويركز أيضا على تقديم برامج فى المدرسة العادية من خلال دمج هؤلاء الأطفال مع أقرانهم الأسوياء وذلك لخلق بيئة صالح للنمو الاجتماعى والانفعالى .

المراجع

المراجع العربية والأجنبية :

- (١) إسماعيل محمد بدر (١٩٩٧) : مدى فاعلية العلاج بالحياة اليومية في تحسين حالات الأطفال ذوي التوحد (فى) المؤتمر الدولى الرابع لمركز الإرشاد النفسى (الإرشاد النفسى والمجال التربوى، ٢ - ٤ ديسمبر) المجلد الثمانى، كلية التربية : جامعة عين شمس، ص ص ٧٢٧ - ٧٥٦.
- (٢) بول موسن، جون كونجر، وجيروم كاجان (١٩٩٣) : أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، ط ٢، الكويت : مكتبة الفلاح .
- (٣) جابر عبد الحميد جابر وعلاء الدين كفاوى (١٩٩٦) : معجم علم النفس والطب النفسى، الجزء الثامن، القاهرة : دار النهضة العربية .
- (٤) جابر عبد الحميد وعلاء كفاوى (١٩٩٥) : معجم علم النفس والطب النفسى، الجزء السابع، القاهرة : دار النهضة العربية .
- (٥) جابر عبد الحميد وعلاء كفاوى (١٩٩٢) : معجم علم النفس والطب النفسى، الجزء الخامس، القاهرة : دار النهضة العربية .
- (٦) جابر عبد الحميد وعلاء كفاوى (١٩٩١) : معجم علم النفس والطب النفسى، الجزء الرابع، القاهرة : دار النهضة العربية .
- (٧) جابر عبد الحميد وعلاء كفاوى (١٩٩٠) : معجم علم النفس والطب النفسى، الجزء الثالث، القاهرة : دار النهضة العربية .
- (٨) جابر عبد الحميد وعلاء كفاوى (١٩٨٨) : معجم علم النفس والطب النفسى، الجزء الأول، القاهرة : دار النهضة العربية .

(٩) ريتشارد . م . سوين (١٩٧٩) ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، علم الأمراض النفسية والعقلية، القاهرة : دار النهضة العربية .

(١٠) زيدان أحمد السرطاوى وكمال سيسالم (١٩٨٧) : المعاقون أكاديمياً وسلوكياً، خصائصهم وأساليب تربيتهم، الرياض : مكتبة الصفحات الذهبية .

(١١) سيجموند فرويد ، ترجمة سامى محمود على وعبد السلام القفاش (١٩٨٠) : الموجز فى التحليل النفسى، القاهرة : دار المعارف .

(١٢) سيجموند فرويد (١٩٨٠) : الموجز فى التحليل النفسى، ترجمة سامى محمود على، عبد السلام القفاش، القاهرة : دار المعارف .

(١٣) عادل عبد الله محمد (١٩٩١) : اتجاهات نظرية فى سيكولوجية نمو الطفل والمراهق، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

(١٤) عادل عز الدين الأشول (١٩٨٧) : موسوعة التربية الخاصة، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

(١٥) عبد العزيز الشخص وعبد الغفار الدماطى (١٩٩٢) : قاموس التربية الخاصة وتأهيل غير العاديين، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

(١٦) عبد المنان ملا معمر (١٩٩٧) : فاعلية برنامج سلوكى تدريجى فى تخفيف حدة أعراض اضطراب الأطفال التوحديين (فى) المؤتمر الدولى الرابع لمركز الإرشاد النفسى (الإرشاد النفسى والمجال التربوى ٢ - ٤ ديسمبر)، المجلد الأول ، كلية التربية : جامعة عين شمس، ص ص ٤٣٧ - ٤٦٠ .

- (١٧) عبد المنعم الحفنى (١٩٧٨) : موسوعة علم النفس والتحليل النفسى ،
القاهرة : مكتبة مديولى .
- (١٨) عثمان لبيب فرّاج (ديسمبر - ١٩٩٤) : إعاقة " التوحّد " أو
"الاجترار" Autism خواصها وتشخيصها (١)،
النشرة الدورية (العدد ٤٠)؛ للسنة الحادية
عشر، إتحاد هيئات رعاية الفئات الخاصة
والمعوقين، ص ص ٢ - ٨ .
- (١٩) عثمان لبيب فرّاج (مارس - ١٩٩٥) : إعاقة " التوحّد " أو " الاجترار"
Autism خواصها وتشخيصها (٢)، النشرة
الدورية (العدد ٤١)؛ السنة الثانية عشر، إتحاد
هيئات رعاية الفئات الخاصة والمعوقين، ص
ص ٢ - ٨ .
- (٢٠) عثمان لبيب فرّاج (يونيو - ١٩٩٥) : إعاقة " التوحّد " أو " الاجترار"
Autism خواصها وتشخيصها (٣)، النشرة
الدورية (العدد ٤٢)؛ السنة الثانية عشر، إتحاد
هيئات رعاية الفئات الخاصة والمعوقين، ص
ص ٢ - ٧ .
- (٢١) عثمان لبيب فرّاج (سبتمبر - ١٩٩٥) : إعاقة " التوحّد " Autism
دراسة حالة (٤)، النشرة الدورية (العدد ٤٣)؛
السنة الثانية عشر، إتحاد هيئات رعاية الفئات
الخاصة والمعوقين، ص ص ٢ - ٢٣ .
- (٢٢) عثمان لبيب فرّاج (سبتمبر - ١٩٩٥) : إعاقة " التوحّد " Autism
دراسة حالة : فتاة تكشف أسرار إعاقة التوحّد
التي تعاني منها (٥)، النشرة الدورية (العدد
٤٤)؛ السنة الثانية عشر، إتحاد هيئات رعاية
الفئات الخاصة والمعوقين، ص ص ٢ - ١٠ .
- (٢٣) عمر بن الخطاب خليل (١٩٩٤) خصائص أداء الأطفال المصابين
بالتوحّد " الأوتيسية " (على استخبار أيزنك

لشخصية الأطفال) ، مجلة معوقات الطفولة ،
المجلد الثالث، العدد الأول، جامعة الأزهر :
مركز معوقات الطفولة ، ص ص ٦٣ - ٧٢ .

(٢٤) عمر بن الخطاب خليل (١٩٩١) : التشخيص الفارق بين التخلف
العقلي، واضطرابات الانتباه، والتوحدية .
دراسات نفسية، رابطة الأخصائيين النفسيين
المصرية " رانم " ، ك ١ ، ج ٣ ، القاهرة : دار
النهضة العربية، ص ص ٥١٣ - ٥٢٨ .

(٢٥) فتحي السيد عبد الرحيم (١٩٩٠) سكيولوجية الأطفال غير العاديين،
واستراتيجيات التربية الخاصة (الجزء الثاني)،
ط ٤ ، الكويت : دار القلم .

(٢٦) محمد شعلان (١٩٧٩) : الاضطرابات النفسية فى الأطفال، الجزء
الثانى، القاهرة : الجهاز المركزى للكتب
الجامعية .

(٢٧) محمد على كامل (١٩٩٨) : من هم ذوى الأوتيزم ؟ وكيف نعددهم
للنضج . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .

(٢٨) محمد عماد الدين إسماعيل ومحمد أحمد غالى (١٩٨١) : فى علم
النفس النمائى : الإطار النظرى لدراسة النمو،
الكويت : دار القلم .

(٢٩) محمود حمودة (١٩٩١) : الطفولة والمراهقة، المشكلات النفسية
والعلاج، القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة .

(٣٠) نيفين مصطفى زيور (١٩٨٨) : الأمراض النفسية لدى الطفل
والمراهق، القاهرة : بدون ناشر .

(31) Clark, G.D. (1965), (in Weston, P.T.B., ed) : So
Approaches to teaching Autis.
Children, Oxford : Pergamon .

- (32) **Creak, M. et al.** (1961), Schizophrenic Syndrome in children, British Medical Journal, 2, pp. 889 - 890 .
- (33) **Elgar, S. and Wing, L.** (1969), Teaching Autistic children, College of Special Education .
- (34) **Furieux, B.** (1969), The Special Child (ch, 9), Harmondsworth : Penguin .
- (35) **Gulliford, R.** (1973) : Special Educational Needs, Routledge & Kegan Paul : London .
- (36) **Khalil., O.** (1995) : Behavioral Therapy for Autistic Children, p p 261 -- 275 .
(فى) بحوث ودراسات فى التربية الخاصة، المجموعة الثالثة، بحوث ودراسات نفسية واجتماعية . المؤتمر القومى الأول للتربية الخاصة، أكتوبر ، وزارة التربية والتعليم .
- (37) **Khalil., O.** , (1993) : Characteristics of Autistic children parents . Center for Handicapped children's Journal, university of Al Azhar . vol. 2, No. 1 , March, p p 333 -- 349 .
- (38) **Nelson. pitawickes & Israel Allen, C.** (1991) : Behaviour Disorder of childhood . (2nd Ed) prentice Hall, Englewood Cliffs : New Jersey .
- (39) **Roeyers, H.** (1995) : A peermediated proximity intervention to faciliate the social interaction of children with apersive developmental disorders, British Journal of special Education, vol. 22, No. 4 . Dec, p p 161 -- 176 .

- (40) **Mittler, P.J.** (1968), *Aspects of Autism*, British Psychological Society .
- (41) **Rimland, B.** (1965), *Infantile Autism*, London ; Methuen .
- (42) **Rutter, M.** (1967), " *Schooling and the Autistic child* ", *Special Education*, 56, 2, pp. 19 - 25 .
- (43) **Rutter, M.** (1970), " *Autism : Concepts and consequences*, *Special Education*, 59, 2, pp. 20 - 24; 59; 3, pp. 6 - 10 .
- (44) **Wing, J.K.** (ed.) (1966), *Early Childhood Autism*, Oxford : Pergamon press .

مطبعة العمرانية للأوفست
بالجيزة ت: ٥٨١٧٥٥٠

To: www.al-mostafa.com